٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر رجب



كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء السابع

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ



ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر رجب الجزء السابع من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٣١ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.- (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ١٩٩٨٥ / ١٤٤٥
ردمك :٦-٣٠٥-٠٥-٦٠٣-٩٧٨




بسم الله الرحمن الرحيم



إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عزَّ وجلَّ بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفِّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويُرضي الله عزَّ وجلَّ.





مُقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القارئ الكريم الجزء السابع من كتاب "٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضمُّ فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي الله عزَّ وجلَّ. تمَّ تقسيمها على أيَّام السنة الهجريَّة بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كلِّ يومٍ يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيَّام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مُخصَّصٌ لفوائد شهر رجب، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحُجَّة لكاتبه وقارئه وكلِّ مَن أعان على نشْره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن

drkhalid63@gmail.com

الرياض

شهر رجب ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر رجب



١ رجب

السُّنن الرَّواتب

الصلاة هي صلة بين العبد وربِّه، وقد فرض الله تعالى على المسلمين خمس صلوات يُؤدُّونها في اليوم واللَّيلة، وهناك صلوات نوافل، وهي دون الفرائض، منها ما يُؤدَّى مع الفرائض، وتُسمَّى السنن الرواتب، ومنها النوافل غير الرواتب، وهي كثيرة، كصلاة الوتر وهي آكد النوافل، أقلُّها ركعة وأكثرها إحدى عشرة ركعة، وصلاة الضُّحى وهي من ركعتين إلى اثنتي عشرة ركعة، وكذلك سُنَّة الوضوء وهي ركعتان، وسُنَّة الاستخارة ركعتان، وسُنَّة قضاء الحاجة ركعتان، وصلاة العيدين ركعتان، وصلاة الاستسقاء ركعتان، وصلاة الكسوف والخسوف، وكلٌّ منهما ركعتان.

وهناك نوافل مطلقة تُصلى في غير أوقات المنع أو الكراهة وغير مُقيَّدة بعدد الرَّكعات.

أمَّا السنن الرواتب فهي صلواتٌ تابعةٌ للصَّلوات الفرائض، وتختلف في حكمها عن حكم صلاة الفرائض، إذ صلاة الفريضة يُجزَى فاعلُها على أدائها، ويُحاسَب تاركُها، بينما السنن الرواتب يُجزَى فاعلُها، ولا يُعاقَب تاركُها، ولكن قد يُعاتَب على تركها.

وتأتي هذه السُّنن لتجبر النَّقص في الفرائض، أي قد تغفل القلوب أثناء أداء الفريضة، وقد تسهو، فتأتي السنن الرواتب لتُتِمَّ النَّقص الذي حصل في صلاة الفرض؛ وسُمِّيت الرَّواتب لأنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم لم يتركها في حَضَره، وهي اثنتا عشرة ركعة في اليوم واللَّيلة.

وفي الموسوعة الفقهية الكويتية: أنَّ الرواتب هي جمع راتبة، من رتب الشيء رتوبًا، أي: استقر ودام فهو راتب، وسُمِّيت السنن الرواتب بذلك لمشروعية المواظبة عليها.

قال الشافعية: السنن الرواتب هي: السنن التابعة لغيرها، أو التي تتوقَّف على غيرها أو على ما له وقتٌ مُعيَّنٌ كالعيدين والضُّحى والتراويح. ويُطلقها الفقهاء على الصلوات المسنونة قبل الفرائض وبعدها؛ لأنه لا يُشرَع أداؤها وحدها من دون تلك الفرائض.

ولم يقصر الشافعية السنن الرواتب على الصلاة فقد صرَّحوا بأنَّ للصوم سُننًا رواتب؛ كصيام ستٍّ من شوال[1].

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٥/ ٢٧٥). الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت،عدد الأجزاء: ٤٥جزءا، الطبعة: (من ١٤٠٤- ١٤٢٧هـ). الأجزاء١-٢٣: الطبعة الثانية، دارالسلاسل– الكويت،..الأجزاء ٢٤- ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر، الأجزاء ٣٩- ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.



ويرى جمهور الفقهاء استحباب المواظبة على السنن الرواتب.

وصرح الحنفية أنَّ تارك السُّنن الرواتب يستوجب إساءة وكراهية، وقال بعضهم: ترْك السُّنة المؤَكَّدة قريبٌ من الحرام[١]، وقال الحنابلة بكراهة ترْك الرواتب بلا عذر[٢].

وتنقسم السنن الرواتب إلى قسمين:

الأول: راتبة مؤَكَّدة؛ وهي ما جاء بها دليلٌ شرعيٌّ، وهي أقرب إلى الفرض، وهي اثنتا عشرة ركعة، مُوزَّعة بين الصلوات المفروضة، كما قال صلى الله عليه وسلم: " مَن صلَّى في يومٍ وليلةٍ ثِنْتَيْ عَشْرةَ ركعةٍ؛ بُنِيَ له بيتٌ في الجنَّةِ: أرْبَعًا قبلَ الظُّهرِ، وركعتيْنِ بعدَها، وركعتيْنِ بعدَ المغرِبِ، وركعتَيْنِ بعدَ العِشاءِ، وركعتيْنِ قبلَ الفَجرِ- صلاةِ الغَداةِ-" رواه الترمذي[٣].

إنْ شئت بيتًا بدارِ الخلدِ تسكنُها في جَنّةٍ دُورُها سبحانَ بانيها

فاثنَتا عشرةَ للّه تَرْكَعُها رواتبٌ كلُّها خيرٌ فأدِّيها[٤]

---

(١) ينظر: الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار (ص: ٦٥٠)؛ حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (ص: ٦٤). الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي (المتوفى: ١٠٨٨هـ)، المحقق: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م. حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، المؤلف: أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي - توفي ١٢٣١ هـ، المحقق: محمد عبد العزيز الخالدي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) ينظر: غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى (١/ ١٩٥). غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى، المؤلف: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (المتوفى: ١٠٣٣ هـ)، اعتنى به: ياسر إبراهيم المزروعي، رائد يوسف الرومي، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٢/ ٢٧٤) برقم (٤١٥) أبواب الصلاة باب ما جاء فيمن صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة من السنة، ما له فيه من الفضل. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١/ ٤١٥). سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة:الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. صحيح وضعيف سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٤) الأبيات من قصيدة بعنوان: قصيدة النوافل، ولم أقف على ناظمها. ينظر: **https://vb.ckfu.org/t691400.html**



الثاني: راتبة مُستحبَّة؛ وهي ما ثبتت بدليلٍ شرعيٍّ، ولكن هي أقلُّ رُتبةً من الراتبة المؤَكَّدة، وتأتي في مقامٍ يتبع السُّنن المؤَكَّدة، وهي ثمان ركعات، مُوزَّعة كما يأتي: أربع ركعات قبل فرض العصر، وركعتان قبل فرض المغرب، وركعتان قبل فرض العشاء.

وتُعدُّ صلاة سُنة صلاة الفجر آكد السنن الرواتب؛ فعن عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- قالت:" لَمْ يَكُنِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم علَى شيءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أشَدَّ منه تَعَاهُدًا علَى رَكْعَتَيِ الفَجْرِ" رواه البخاري[١]. ويُسنُّ تخفيفُهما بأن يقرأ المصلِّي في الركعة الأولى سورة الكافرون، وفي الركعة الثانية سورة الإخلاص؛ وذلك لما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه-:" أنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَرَأَ في رَكْعَتَيِ الفَجْرِ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)، وَ(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)" رواه مسلم[٢].

وعن السُّنة الراتبة لصلاة الجمعة يقول أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: قَالَ النبيُّ- صلى الله عليه وسلم-:" إِذَا صَلَّيْتُمْ بَعْدَ الْجُمُعَةِ فَصَلُّوا أَرْبَعًا". وفي رواية:" فَإِنْ عَجِلَ بِكَ شَيْءٌ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَكْعَتَيْنِ إِذَا رَجَعْتَ" رواه مسلم[٣]. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن عمر- رضي الله عنهما- أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ قَالَ:" كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَصْنَعُ ذَلِكَ" رواه مسلم[٤].

وعَنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم "كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ، وَبَعْدَ العِشَاءِ رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ لَا يُصَلِّي بَعْدَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ" رواه البخاري ومسلم[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٧) برقم (١١٦٩) كتاب التهجد باب تعاهد ركعتي الفجر ومن سماهما تطوعًا. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناص ر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ..

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٠٢) برقم (٧٢٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما، والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٠) برقم (٨٨١) كتاب الجمعة باب الصلاة بعد الجمعة

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٠) برقم (٨٨٢) كتاب الجمعة باب الصلاة بعد الجمعة.

(٥) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له (٢/ ١٣) برقم (٩٣٧) كتاب الجمعة باب الصلاة بعد الجمعة وقبلها. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٠٤) برقم (٧٢٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وبيان عددهن.



واختلف أهل العلم في الراتبة بعد صلاة الجمعة، فمنهم من قال: يُصلِّيها أربعًا؛ لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه-، ومنهم من قال: يُصلِّيها ركعتين في البيت؛ لحديث ابن عمر- رضي الله عنهما- من فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

ويقول الإمام ابن القيّم- رحمه الله-: وَكَانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ دَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ سُنَّتَهَا، وَأَمَرَ مَنْ صَلَّاهَا أَنْ يُصَلِّيَ بَعْدَهَا أَرْبَعًا. قَالَ شَيْخُنَا أبو العباس ابن تيمية- رحمه الله-: إِنْ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ صَلَّى أَرْبَعًا، وَإِنْ صَلَّى فِي بَيْتِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ. قُلْتُ: وَعَلَى هَذَا تَدُلُّ الْأَحَادِيثُ، وَقَدْ ذَكَرَ أبو داود عَنِ ابْنِ عُمَرَ- رضي الله عنهما- أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ صَلَّى أَرْبَعًا، وَإِذَا صَلَّى فِي بَيْتِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ[١][٢].

قالَ العلَّامةُ ابن عثيمين- رحمه الله-: والأفضلُ أن تُصلَّى هذه الرواتب في البيت للمأموم والإمام؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" أفضل صلاة المرء في بيته إلَّا المكتوبة" [٣] رواه أبو داود. حتَّى لو كنتَ في مكة أو في المدينة؛ فالأفضل أن تُصلِّي هذه السُّنن الراتبة في بيتك؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يُصلِّيها في بيته[٤].

وتوجد الكثير من الفضائل التي يُحصِّلها المسلم عند مُحافظته على السُّنن الرَّواتب، وهي كثيرةٌ، منها ما يأتي:

---

(١) حديث ابن عمر رواه أبو داود عنه أنه قال: كان إذا كان بمكة فصلى الجمعة، تقدم فصلى ركعتين، ثم تقدم فصلى أربعا، وإذا كان بالمدينة صلى الجمعة، ثم رجع إلى بيته فصلى ركعتين، ولم يصل في المسجد، فقيل له، فقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك» سنن أبي داود (١/ ٢٩٤) برقم (١١٣٠) تفريع أبواب الجمعة باب الصلاة بعد الجمعة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ١٣٠). سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية. وينظر: تمام المنة في التعليق على فقه السنة (ص: ٣٤١). تمام المنة في التعليق على فقه السنة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار الراية، الطبعة: الخامسة.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٢٤). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٤٧) برقم (٧٣١) كتاب الأذان باب صلاة الليل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣٩) برقم (٧٨١) كتاب صلاة المسافرين باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد.

(٤) شرح رياض الصالحين (٥/ ١٢١). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ..



١- جبْر نقص صلاة الفريضة: تُعدُّ صلاة النافلة من الأعمال التي تجبُرُ نقصَ صلاة الفريضة، فأوَّل ما يُحاسَبُ عليه الإنسان يوم القيامة صلاةُ الفرض، وعند عدم اكتمالها يُكمِّلها الله تعالى لعبده من صلاة النَّافلة، كما جاء في حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم:" أَوَّلُ ما يُحاسَبُ الناسُ بِهِ يَوْمَ القيامَةِ مِنْ أعمالِهِمُ الصلاةُ، يقولُ ربُّنا عزَّ وجلَّ لملائِكَتِهِ- وهو أعلمُ-: انظروا في صلاةِ عبْدِي أَتمَّها أَمْ نَقَصَها؟ فَإِنْ كانتْ تامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ كان انتقصَ منها شيئًا قال: انظروا هل لعبدي مِنْ تطَوُّعٍ؟ فإنْ كان له تَطَوُّعٌ قال: أَتِمُّوا لعبدي فريضتَهُ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعمالُ على ذاكم" رواه أبو داود[(١)]، فصلاة الراتبة تجبرُ الخللَ الواقع في صلاة الفرض، كأنْ يحصلُ بها نقصٌ في آدابها أو خُشوعها أو في التدبُّر في القراءة أو الأذكار.

٢- الرِّفعة في الجنة: تُعدُّ كثرة الصلاة من الأعمال التي ترفع من درجات العبد في الجنة يوم القيامة، بل إنَّها سببٌ في مُرافقة النبيّ صلى الله عليه وسلم في الجنة، لما ورد عن ربيعة بن كعب الأسلميّ- رضي الله عنه- قال:" كُنْتُ أَبِيتُ مع رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فأَتَيْتُهُ بوَضُوئِهِ وحَاجَتِهِ، فَقالَ لِي: سَلْ، فَقُلتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّةِ. قالَ: أَوْ غيرَ ذلكَ؟ قُلتُ: هو ذَاكَ. قالَ: فأعِنِّي علَى نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ" رواه مسلم[(٢)].

٣- التَّهيُّؤ للعبادة: ذكرَ ابن دقيق العيد في بيانِه لتقديم النوافل على الفرائض أنَّ ذلك يكون من باب الأُنس بالعبادة، والتَّهيُّؤ لها، حيثُ إنَّ النفوس تكون مشغولةً بأسبابٍ تُبعدُها عن الخُشوع والحُضور للصلاة، فتكون النافلة مُقدِّمةً للصلاة؛ ليدخلَ المسلم من خلالها في العبادة وأجوائها، وأجواء الخُشوع والخُضوع[(٣)].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٢٩٩) برقم (٩٤٩٤). وأبو داود في سننه (١/ ٢٢٩) برقم (٨٦٤) أبواب تفريع استفتاح الصلاة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه». والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢/ ٣٦٤). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٥٣) برقم (٤٨٩) كتاب الصلاة باب فضل السجود والحث عليه.

(٣) هذا معنى كلامه، ونصه: "وفي تقديم السنن على الفرائض وتأخيرها عنها: معنى لطيف مناسب. أما في التقديم: فلأن الإنسان يشتغل بأمور الدنيا وأسبابها. فتتكيف النفس من ذلك بحالة بعيدة عن حضور القلب في العبادة، والخشوع فيها، الذي هو روحها. فإذا قدمت السنن على الفريضة تأنست النفس بالعبادة، وتكيفت بحالة تقرب من الخشوع. فيدخل في الفرائض على حالة حسنة لم تكن تحصل له لو لم تقدم السنة. فإن النفس مجبولة على التكيف بما هي فيه، لا سيما إذا كثر أو طال. وورود الحالة المنافية لما قبلها قد يمحو أثر الحالة السابقة أو يضعفه. وأما السنن المتأخرة: فلما ورد أن النوافل جابرة لنقصان الفرائض. فإذا وقع الفرض ناسب أن يكون بعده ما يجبر خللا فيه إن وقع". إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ١٩٩) وينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٥/ ٢٨٠). إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، المؤلف: ابن دقيق العيد، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.



٤- بناء بيت في الجنة: صلاة النوافل من أسباب نيل أجرٍ عظيم الثواب عند الله في الجنة، فهي سببٌ لبناء بيتٍ لصاحبها في الجنّة، فمَن حافظ على صلاة اثنتي عشر ركعة من النوافل لله تعالى في اليوم والليلة؛ بنى الله تعالى له بيتًا في الجنة، عن أم حبيبة بنت أبي سفيان- رضي الله- عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَن صلَّى في يومٍ وليلةٍ ثنتي عشرة ركعة بُنِيَ له بيتٌ في الجنة" رواه مسلم(١).وهذه الركعات هي النوافل التابعة للفرائض. الخلاصة: أنَّ السنن الرواتب لها فضلٌ عظيمٌ عند الله، حتى قال العلماء بقضائها لمن فاتته لعذر، يقول الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: مَن فاته شيءٌ مِن هذه الرواتب؛ فإنَّه يُسنُّ له قضاؤه، بشرط أن يكون الفوات لعذر. ودليل ذلك: ما ثبت من حديث أبي هريرة وأبي قتادة- رضي الله عنهما- في قصة نوم النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم في السفر عن صلاة الفجر،" حيث صلى النبيُّ صلى الله عليه وسلم راتبة الفجر أوَّلًا، ثم الفريضة ثانيًا" رواه ابن ماجه(٢).وكذلك أيضًا حديث أم سلمة- رضي الله عنها- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم" شُغِلَ عن الركعتين بعد صلاة الظهر؛ فقضاهما بعد صلاة العصر(٣)" رواه النسائي. وهذا نصٌّ في قضاء الرواتب(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٠٢) برقم (٧٢٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وبيان عددهن.

(٢)رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٧١) برقم (٦٨٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٦٩) برقم (٤٣٧٠) كتاب المغازي باب وفد عبد القيس. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٧١) برقم (٨٣٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب معرفة الركعتين اللتين كان يصليهما النبي صلى الله عليه وسلم بعد العصر.

(٤)الشرح الممتع على زاد المستقنع (٤/ ٧٢). الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨هـ..



٢ رجب

البكاء من خشية الله

لقد غاب عن حياة الكثيرين منا سَمتٌ جليلٌ، وسمة ربانيَّة، أنْسَتْنا الدنيا ومشاغلها، ولَهونا بها في الليل والنهار، هذه الخصْلة الكريمة الشريفة هي صفةٌ قدِ امتدحَ اللهُ ورسولُه صلى الله عليه وسلم فاعِلِيها. نعم، لقد فَقَدْنا البُكاءَ مِن خشية الله، وغاب عنَّا هذا السمت البُكائي ونذُر، حتى صار يُقال: إنَّ فلانًا يبكي، وحتى صار منَ المسْتَغْرَب أن تجدَ مَن يخشع في الموعظة، وحتى صار صَفُّ الملتزمين في الصلاة أشَحَّ بالدَّمع منَ الصَّخر، إنَّ هذا كلَّه مُؤذِنٌ بِخَلَلٍ خطيرٍ، ومُنذرٌ بشرٍّ وَبِيل. لا نريد المخادَعة، ولا الضَّحِك على النَّفْس، فربَّما الْتَمَسَ الإنسان لنفسه أَلْف عُذْر، وربما قال ما قال إياس لأبيه: إنما هي رقَّة في القلوب[1]، يريد أنَّ المسألة طبائع، فهناك مَن في قلبه رِقَّة، وهناك مَن في قلبه قسوة، وكلُّ هذه مبررات واهِية، وحُجج ساقِطة، واجعل نُصب عينيكَ أبدًا قول مَن قال: إذا لم تبكِ مِن خشية الله؛ فابكِ على نفسك؛ لأنَّكَ لَمْ تبكِ. كثيرٌ منا مَن يقرأ القرآن؛ ولكن لا تدمع عيونُه مِن خشية الله، وكثيرٌ منَّا مَن يستمع إلى أحاديث تُذَكِّرُه بالآخرة، وتُخَوِّفه بالنار، وتُحَبِّبه في الجنَّة؛ ولكنَّ قلبَه لا يخشع ولا يخضع، ولا يلين، فقد عَمَّتِ البلوى، وانتشرتِ المعاصي والآثام، فلم يبقَ لهذا القلب خوفٌ منَ الله، ولم يبقَ لهذه العين خَشْيَة حتى تدمعَ شوقًا إلى الله.

إنَّ البكاء من خشية الله عبادة يُحبُّها الله تعالى، ويُرغِّب فيها، ويُعطي عليها الأجر العظيم، لأنَّ بها تتحقَّق العبودية الكاملة له سبحانه، ويتحقَّق الخشوع والخضوع والانكسار والتذلُّل بين يديه، والتوبة والإنابة إليه، كما أنَّها تُرقِّق القلب وتزيد الإيمان، وتُرقِّي العبد إلى أعلى مقامات الولاية والقُرْب من الله عزَّ وجلَّ. ولقد تنوَّعت أساليب القرآن الكريم في الحديث عن البكاء، فمرَّة يستنكر على المشركين اشتغالهم بالعجب والضحك، بدل البكاء، فيقول تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[2]. وتارة يُبيِّنُ حال الصالحين ويُثني عليهم قائلًا: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[3]، ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[4].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (ص: ٥٦) برقم (٣٩). الرقة والبكاء، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار النشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

(٢) النجم: ٥٩ — ٦٠.

(٣) الإسراء: ١٠٩.

(٤) مريم: ٥٨.



وللبكاء من خشية الله فضل عظيم: فقد كان السلف يتَّصفون به في حال سرِّهم وجهرهم، قال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾(١).

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" لا يلجُ النارَ رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبنُ في الضرع" رواه الترمذي(٢).

وقالَ رسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّه تَعالى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمِسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّه، اجتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمالٍ، فَقَالَ: إنِّي أَخافُ اللَّه، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةَ فأَخْفاها حتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّه خالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" رواه البخاري ومسلم(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" عينانِ لا تمسُّهما النار: عينٌ بكتْ من خشية الله، وعينٌ باتتْ تحرُسُ في سبيل الله" رواه الترمذي(٤)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" ليس شيءٌ أحبُّ إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرةٌ مِن دموع خشية الله، وقطرة دم تُهراق في سبيل الله، وأمَّا الأثرانِ: فأثرٌ في سبيل الله، وأثرٌ في فريضة من فرائض الله" رواه الترمذي(٥).

أمَّا الوسائل المعِينة على البكاء فكثيرة، منها: استشعار عظمة الله تعالى والخوف منه. والتفكُّر في حال النفس وتقصيرها في عبادة الله تعالى وجُرأتها على معصيته، والتفكُّر في الآخرة وأهوالها، والخوف من

(١) الطور: ٢٥ – ٢٨.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٦/ ٣٣٠) برقم (١٠٥٦٠). والترمذي في جامعه (٤/ ١٧١) برقم (١٦٣٣) أبواب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٢٧٤) برقم (٤٣٠١) كتاب الجهاد، فضل من عمل في سبيل الله على قدمه. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ١٣٣). السنن الكبرى المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ١٧٥) برقم (١٦٣٩) أبواب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ١٩٠) برقم (١٦٦٩) أبواب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل المرابط. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ١٦٩).



سوء الخاتمة، وقراءة القرآن الكريم وتدبُّر معانيه، والدعاء بأن يرزقه الله تعالى عينًا دامعة وقلبًا خاشعًا، وأن يتعوَّذ من قسوة القلب وجمود العين. قال عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-: لأن أدمع من خشية الله أحبُّ إليَّ مِن أن أتصدَّق بألف دينارٍ[١]، وقال كعب الأحبار: لأن أبكي مِن خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي؛ أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بوزني ذهبًا[٢].

والبكاء أنواع: أحدها: بكاء الرحمة والرقَّة، والثاني: بكاء الخوف والخشية، والثالث: بكاء المحبَّة والشوق، والرابع: بكاء الفرح والسرور، والخامس: بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله، والسادس: بكاء الحزن، والسابع: بكاء الخور والضعف، والثامن: بكاء النفاق، وهو أن تدمع العين والقلبُ قاسٍ، فيُظهِر صاحبُه الخشوعَ، وهو من أقسى الناس قلبًا، والتاسع: البكاء المستعار والمستأجَر عليه، كبكاء النائحة بالأجرة، فإنَّها كما قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: تبيع عبْرَتَها، وتبكي شجو غيرها، والعاشر: بكاء المواقة، وهو أن يرى الرجُلُ الناسَ يبكون لأمرٍ ورد عليهم؛ فيبكي معهم، ولا يدري لأيِّ شيءٍ يبكون، ولكن يراهم يبكون فيبكي. وما كان من البكاء مُستدعى متكلفًا؛ فهو التباكي، وهو نوعان؛ محمود: وهو أن يُستجلَب لرقَّة القلب، ولخشية الله، لا للرياء والسمعة. ومذموم: وهو أن يُجتلَب لأجل الخَلْق[٣].

قال ابن القيِّم- رحمه الله-: وأما بكاؤه صلى الله عليه وسلم فكان من جنس ضحكه، لم يكن بشهيقٍ ورفع صوت، كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تَهْمُلا، ويُسمَع لصدره أزيزٌ، وكان بكاؤه تارةً رحمةً للميت، وتارةً خوفًا على أُمَّته وشفقةً عليها، وتارةً من خشية الله، وتارةً عند سماع القرآن، وهو بكاء اشتياقٍ ومحبَّةٍ وإجلالٍ، مُصاحِب للخوف والخشية.

ولما مات ابنه إبراهيم دمعت عيناه وبكى رحمةً له، وقال:" تدمع العينُ ويحزن القلبُ، ولا نقول إلَّا ما يُرضي ربَّنا، وإنَّا بك يا إبراهيم لمحزونون» رواه مسلم[٤][٥]. وبكى النبيُّ صلى الله عليه وسلم وسالتْ

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٥٣) برقم (٨١٦) الخوف من الله تعالى. شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٢٦) برقم (٣٥٥٤٤). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٧٧).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٧) برقم (٢٣١٥) كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٧٦).



دموعه، وهو الذي غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون منه معصية لله عزَّ وجلَّ، فهو المعصوم المنتقى، المختار المنزَّه عن فعل المعاصي والمنكرات.

قال عبد الله بن الشخير- رضي الله عنه-:" أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُصلِّي، ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء" رواه النسائي(١).

هذا هو بكاء الخشية الشرعي، ليس هو الصراخ والعويل، وإقامة المآتم والنواح، وضرب الصدور وشق الجيوب، ومُشابَهة أهل الجاهلية، فكلُّ هذا جهلٌ وضلالٌ، وبِدعٌ ما أنزل الله بها من سلطان.

وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأْ عليَّ القرآن، قلتُ: يارسول الله؛ أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال:" إنِّي أحبُّ أن أسمعه من غيري" قال ابن مسعود: فقرأتُ النساء، حتَّى إذا بلغتُ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، قال: فرفعتُ رأسي فإذا عيناه تذرفان، وفي رواية: فرفعتُ رأسي فرأيتُ دموعه تسيل. رواه البخاري(٢). فلم يُحدِث النبيُّ صلى الله عليه وسلم صوتًا في بكائه، ولم يعلم به ابن مسعود- رضي الله عنه- إلَّا أنَّه رفع رأسه، وفي بعض الألفاظ: أنَّ رجُلًا غمزه فرفع رأسه، فرأى دموع النبي صلى الله عليه وسلم تسيل.

وقد قال بعض السلف: ابكوا من خشية الله، فإن لم تبكوا فتباكوا(٣).

بكيتُ على الذنوبِ لعظمِ جُرمِي ... وحُـقَّ لمـن عصـى مُـرُّ البُكَـاءِ
فلـو أنَّ البُكَـاءَ يَرُدُّ هَمِّي ... لأسـعدتُ الدمـوعَ مع الدِّمَاءِ(٤)

الخلاصة: أنَّ البكاء من خشية الله تعالى من الأعمال التي يُحبُّها الله تعالى، ويرضى عن العبد بها، ويُجزل له الأجر والثواب، ويُنقذه من النار، كما أنَّه دأب الصالحين والأولياء، لذلك على المؤمن أن يعرف فضله، والوسائل المساعدة على حصوله، وأن يتجنَّب الأسباب التي تُقسِّي القلب وتُجمِّد العين، وأن يسأل الله تعالى أن يُكرمه بفضله ونعمته وحلاوته.

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (١/ ٢٩٢) برقم (٥٤٩) كتاب السهو، ذكر ما ينقض الصلاة، وما لا ينقضها، البكاء في الصلاة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٣/ ٣٥٨). صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٥) برقم (٤٥٨٣) كتاب تفسير القرآن باب {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} [النساء: ٤١] ". ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥١) برقم (٨٠٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر.

(٣) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٢٢٥) برقم (٣٥٥٣٤).

(٤) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ١٤٢).

٣رجب

غضُّ البصر

قال الإمام القرطبي: البصر هو الباب الأكبر الى القلب[(١)]، ولذلك وجب على كلِّ مُسلمٍ عاقلٍ يخاف الله ويرغب في رضاه؛ أن يَغضَّ بصره عن كلِّ ما حرَّم الله عليه.

وما أحسن قول الشاعر:

كـلُّ الحـوادثِ مبـدؤها مـن النظَـرِ ومُعظمُ النارِ مِن مُستصغَرِ الشرَرِ

كم نظرةٍ فتكتْ في قلبِ صاحبِها فتْكَ السهامِ بلا قوسٍ ولا وترِ؟![(٢)]

لماذا نغضُّ البصر؟

١- تنفيذ أوامر الله عزَّ وجلَّ: قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[(٣)].

قال الشيخ السعدي في تفسيره: أي: أرشدِ المؤمنين، وقلْ لهم: الذين معهم إيمان يمنعهم من وقوع ما يخلُّ بالإيمان: {يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} عن النظر إلى العورات، وإلى النساء الأجنبيات، وإلى المرْدان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور. {وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} عن الوطء الحرام، في قُبُلٍ أو دُبُرٍ، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مسِّها، والنظر إليها. {ذَلِكَ} الحفظ للأبصار والفروج {أَزْكَى لَهُمْ} أطهرُ وأطيبُ، وأنمى لأعمالهم، فإنَّ مَن حفِظَ فرجه وبصره؛ طهُر من الخبث الذي يتدَّنس به أهل الفواحش، وزكتْ أعمالُه، بسبب ترْك المحرَّم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمَن ترَك شيئًا لله؛ عوَّضه الله خيرًا منه، ومَن غضَّ بصره عن المحرَّم؛ أنار الله بصيرته، ولأنَّ العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومُقدِّماته- مع داعي الشهوة-؛ كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سمَّاه الله حفظًا، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه؛ لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما؛ أوقعاه في بلايا ومِحنٍ، وتأمَّلْ كيف أمر بحفظ الفرج مطلقًا، لأنَّه لا يُباح في حالةٍ من الأحوال، وأمَّا البصر فقال: {يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} أتى بأداة "من" الدالَّة على

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٣). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

(٢) ينظر: الكبائر للذهبي (ص: ٥٩). الكبائر، المؤلف: تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الندوة الجديدة – بيروت.

(٣) النور: ٣٠.



التبعيض، فإنَّه يجوز النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك. ثم ذكَّرهم بعلمه بأعمالهم، ليجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرَّمات[١]. وهذه الآية اشتملت على ثلاثة معانٍ: تأديب، وتنبيه، وتهديد. أمَّا التأديب فقوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...}، ولا بُدَّ للعبد من امتِثال أوامر ربِّه والتأدُّب معه، وإلَّا كان سيِّءَ الأدب، وأمَّا التنبيه فقوله: {ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ...}، فالزكاة هي الطهارة والزيادة؛ لأنَّ غضَّ البصر يزيد طهارة القلب، فيزداد العبد من الطاعات، وأمَّا التهديد فقوله: {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}، قيل لأحد الصالحين: كيف أغضُّ بصري؟ قال: أنْ تعلم أنَّ نظر الله إليك أسرعُ مِن نظرك إلى المنظور إليه.

٢- استجابةً لتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليِّ بن أبي طالب- رضي الله عنه-:" يا عليُّ؛ لا تُتبعِ النظرةَ النظرة؛ فإنَّ لك الأولى، وليست لك الآخرة" رواه أبو داود[٢].

٣- ضمان دخول الجنة: فعن عبادة بن الصامت- رضي الله عنه- أن نبيَّ الله- صلى الله عليه وسلم- قال:" اضمَنوا لي سِتًّا من أنفسكم أضمنْ لكم الجنة: اصدُقوا إذا حدَّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا اؤتُمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكفوا أيديكم" رواه أحمد[٣].

٤- تجنُّب الوقوع في الزنا: قال تعالى﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾[٤]. وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"كُتبَ على ابنِ آدمَ نصيبُه من الزِّنا، مُدرِكٌ ذلك لا محالة؛ فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجْل زناها الخُطا، والقلب يَهوى ويتمنَّى، ويُصدِّقُ ذلك الفرجُ ويُكذِّبُه" رواه مسلم[٥].

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٦٦). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٩٥) برقم (٢٢٩٩١). وأبو داود في سننه (٢/ ٢٤٦) برقم (٢١٤٩)كتاب النكاح باب ما يؤمر به من غض البصر. والترمذي في جامعه (٥/ ١٠١) برقم (٢٧٧٧) أبواب الأدب باب ما جاء في نظرة الفجاءة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٢٧٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٤١٧) برقم (٢٢٧٥٧). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٤٥٤). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف) عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٤) الإسراء: ٣٢.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٤) برقم (٦٢٤٣)كتاب الاستئذان باب زنا الجوارح دون الفرج. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٧) برقم (٢٦٥٧)كتاب القدر باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره.



٥- النظر خطر على استقرار الفكر: لأنَّ النظر المتلذِّذ الجائع ليس خطرًا على خلُق العفاف فحسب، بل خطرٌ على استقرار الفكر وطمأنينة القلب الذي يُصاب بالشرود والاضطراب.

ومن فوائد غضِّ البصر: تخليص القلب من ألم الحسرة؛ فإنَّ مَن أطلق نظره دامتْ حسرتُه، فأضرُّ شيءٍ على القلب إرسالُ البصر؛ فإنَّه يُريه ما يشتدُّ طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه. كذلك فإنَّه يورث القلب نورًا وإشراقًا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أنَّ إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه، ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١]، عقيب قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾[٢].

ويورث صحَّة الفراسة؛ فإنَّها من النور وثمراته، وإذا استنار القلب صحَّت الفراسة؛ لأنَّه يصير بمنزلة المرآة المجلوة، تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفُّس فيها، فإذا أطلق العبد نظرةً تنفَّستْ نفسُه الصُّعَداء في مرآة قلبه، فطمستْ نورها.

ومن فوائده أيضًا أنَّه يَسدُّ عنه بابًا من أبواب جهنم؛ فإنَّ النظر باب الشهوة الحاملة على مُواقَعة الفعل، وتحريم الرَّبِّ تعالى، وشرْعُه حجابٌ مانعٌ من الوصول، فمتى هتَكَ الحجاب وقع في المحظور ولم تقف نفسه منه عند غاية، فإنَّ النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها؛ وذلك أنَّ لذَّتها في الشيء الجديد، فغضُّ البصر يسدُّ عنه هذا الباب.

ومن الوسائل المعينة على غضِّ البصر:-

١- أن يتَّقي الله في سرِّه وعلانيته: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[٣]، ويقول تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[٤].

قال ابن عبَّاسٍ- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ} قال: هو الرَّجُل يكون بين الرجال، فتمرُّ بهم امرأةٌ فينظرُ إليها، فإذا نظر إليه أصحابُه غضَّ بصرَه[٥].

---

(١) النور: ٣٥.

(٢) النور: ٣٠.

(٣) الأنعام: ٣.

(٤) غافر: ١٩.

(٥) ينظر: تفسير السمعاني (٥/ ١٣). تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢- أن يدعو الله عزَّ وجلَّ بأن يصرف عنه السوء والفحشاء: قال سبحانه وتعالى عن نبيِّه يوسف- عليه السلام-: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾(١)، قال ابن تيمية- رحمه الله-: فلا بُدَّ من التقوى بفعل المأمور والصبر على المقدور؛ كما فعل يوسف- عليه السلام- اتَّقى الله بالعفَّة عن الفاحشة، وصبَرَ على أذاهم له بالمراودة والحبس، واستعان الله ودعاه حتَّى يُثبِّته على العفَّة، فتوكَّل عليه أن يصرف عنه كيدهنُّ، وصبَرَ على الحبس(٢).

٣- تنشئة الأبناء على التربية الإسلامية: فالتربية الإسلامية تغرس الفضيلة والعفَّة في الأبناء، وتُربِّيهم على الالتزام بالأحكام الشرعية منذ صغرهم.

٤- الزواج: الزواج المبكِّر من أقوى الوسائل المعِينة للعفاف، قال صلى الله عليه وسلم:" يا معشر الشباب؛ مَنِ استطاع منكم الباءة فلْيتزوجْ؛ فإنَّه أغضُّ للبصر، وأحصنُ للفرج، ومَن لم يستطعْ فعليه بالصوم؛ فإنَّه له وِجاء" رواه البخاري(٣).

٥- عدم الخلوة بالمرأة الأجنبية: قال صلى الله عليه وسلم:" الحمو الموت" رواه البخاري ومسلم(٤)، وقال: ما خلا رَجُلٌ بامرأةٍ إلَّا كان الشيطان ثالثهما" رواه البخاري(٥).

٦- عدم التبرج: قال تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾(٦).

٧- الاستئذان عند الدخول: وقد جعل الاستئذان من أجل البصر كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾(٧).

---

(١) يوسف: ٣٣ – ٣٤.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٣١). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٣) برقم (٥٠٦٥) كتاب النكاح باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج» وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح ". ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١٨) برقم (١٤٠٠) كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٣٧) برقم (٥٢٣٢) كتاب النكاح باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧١١) برقم (٢١٧٢) كتاب السلام باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها.

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٤٦٦) برقم (٢١٦٥) أبواب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة بلفظ: "ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان". والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٦٥).

(٦) الأحزاب: ٣٣.

(٧) النور: ٢٧.



الخلاصة: أنَّ الله أمرنا بغضِّ البصر، وقدَّم الأمر به على حفظ الفرج لأنَّه بداية الزنا، فإنَّ كلَّ الموبقات تبتدئ بالنظر، لذلك نرى أنَّ النظرة المسمومة تولد الخطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة قوية، فيقع الفعل، والفرج يُصدِّق ذلك أو يُكذِّبه. فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رضي الله عنه- قَالَ:" سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ، فَأَمَرَنِى أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِى" رواه مسلم(١).

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٩٩) برقم (٢١٥٩) كتاب الآداب باب نظر الفجأة.



٤ رجب

الدلالة على الخير

إنَّ الدلالة على الخير في الإسلام لها فَضلٌ عظيمٌ، وهي واجبٌ منوطٌ بتنفيذه كلُّ مُسلِمٍ قدْرَ استطاعته، والدلالة على الخير لها شِقَّان: الأول: توجيه الناس إلى الخير وتعليمهم الأمور التي فيها صلاح ونور، والثاني: هو النهي عن الضلال والشر وتحذير الناس ونصيحتهم ومنعهم منه، ووعظهم وتوضيح العقوبة في الدنيا والآخرة.

فمِن أُسس ودعائم الدلالة على الخير الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة؛ حيث حثَّ كلَّ مُسلمٍ على فعل الخير مع الآخرين وأن يدُلَّهم عليه، ويُرغِّبهم بالإحسان وأن يُساعدهم على الهداية والابتعاد عن الضلال، فإنَّ في ذلك أجرًا عظيمًا، وفضلًا من الله تعالى على عباده الذين يسيرون على النهج السليم.

وقد ورد ذكر الدلالة على الخير في عدد من آيات القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[(١)].

وفي تفسير الآية الكريمة يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: يَمدح الله تعالى هذه الأمَّة، ويُخبر أنَّها خيرُ الأمَم التي أخرجها الله للنَّاس؛ وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزِم للقيام بكلِّ ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر المتضمِّن دعوة الخَلق إلى الله، وجهادهم على ذلك، وبَذْل المستطاع في ردِّهم عن ضلالهم وغيِّهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خيرَ أمَّةٍ أُخرِجَت للناس[(٢)].

وقد بيَّنَ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال أحاديثه الشريفة النهج السليم الذي يجب السير عليه، وبيَّنَ لنا فضل كلِّ عملٍ فيه خيرٌ، ومن الأحاديث التي بَيَّنتْ فضْل الدلالة على الخير نذكر: قوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الدالَ على الخيرِ كفاعلِه" رواه الترمذي[(٣)].

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٤٣).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ١٣٢) برقم (٢٣٠٢٧). والترمذي في جامعه (٥/ ٤١) برقم (٢٦٧٠) أبواب العلم باب ما جاء الدال على الخير كفاعله. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ١٧٠).



وقوله صلى الله عليه وسلم أيضًا:" مَن دَعا إلى هُدًى كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَن دَعا إلى ضَلالَةٍ كانَ عليه مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِمْ شيئًا " رواه مسلم(١).

والدلالة على الخير نوعان: مباشرة وغير مباشرة، فالدلالة المباشرة إذا سأل أحدٌ شخصًا آخر عن شيءٍ في أمور الدين أو الدنيا، ثم يدلُّه ويُجيبه بما يعلم، إذ تُعتبر هذه هي الدلالة المباشرة. ويأخذ الثواب كاملًا.

والدلالة غير المباشرة إذا سأل أحدٌ شخصًا آخر عن شيءٍ في أمور الدين أو الدنيا، لكنه لا يعرف الإجابة، فيدلُّه علي شخصٍ أفقه منه ليجيب على تساؤلاته، إذ تُعتبر هذه هي الدلالة غير المباشرة. ويأخذ الثواب كاملًا كفاعله.

وقد قسَّم الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- الدلالة على الخير إلى قسمين: دلالة القول، ودلالة الفعل، والناس يقتدون بالقول ويقتدون بالفعل، وربما كان اقتداؤهم بالفعل أكثر، فمثلًا إذا اقتدى بك إنسان في التهجُّد بالليل أو في إعانة الضعيف أو الصدقة على فقيرٍ؛ اقتدى بك وأنتَ لم تقلْ ذلك، فهذا يعتبر دلالة فعلية، وكذلك من دلَّ على ترْك المحظور وترْك الشرِّ بنيَّةٍ صالحةٍ، وترَكه غيرُه، بهذه النيَّة فله مثل أجر فاعله(٢).

كيف أكون دليلًا على الخير؟ إنَّ الدلالة على الخير هي أمرٌ يستوجب تحقيق عددٍ من الشروط، وذلك لزيادة قدرة المرء على هداية الآخرين وإرشادهم للخير، ومن هذه الأمور المعينة على ذلك:

١- الحصول على العلم الكافي والذي يجعل الشخص مُؤهَّلًا وقادرًا على هداية الآخرين ودلالتهم على الخير. والدعاء لله تعالى وطلب التوفيق والهداية والتيسير منه في كل أمرٍ يفعله.

٢- حُسن المظهر وحُسن اللباس على ألَّا يكون ذلك مُبالَغًا فيه.

٣- حُسن المعشر وحُسن الأخلاق؛ لأنَّ ذلك يزيد من محبَّة الآخرين للشخص.

٤- توسيع دائرة العلاقات والمعارف؛ لأنَّ ذلك يزيد من قدر الناس الذين يُمكن دلالتهم إلى الخير.

٥- حُسن السيرة يجعل الآخرين يتأثَّرون بكلام الشخص، ويصغون لكلامه ونصائحه.

---

(١) مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٠) برقم (٢٦٧٤) كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

(٢) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٦/ ٢٩٩). فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.



٦- عدم التوجُّه لأشخاصٍ وترْك أشخاص؛ فإنَّ الدلالة للخير يجب أن تكون عامَّةً لكلِّ الناس بقدر الاستطاعة.

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: ينبغي للإنسان أن يُسارعَ في الخيرات؛ كلَّما ذُكر له شيءٌ من الخير بَادَرَ إليه، فمِن ذلك الصلاة، والصدقة، والصوم، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، إلى غير ذلك من مسائل الخير التي ينبغي المسارعة إليها؛ لأنَّ الإنسان لا يدري؛ فربما يتوانى في الشيءِ ولا يقدر عليه بعد ذلك، إمَّا بموتٍ، أو مرض، أو فوات، أو غير هذا، وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن أراد الحجَّ فليتعجَّلْ؛ فإنَّهُ قد يمرَضُ المريضُ، وتضلُّ الضالَّةُ، وتعرِضُ الحاجَةُ" رواه ابن ماجه[1]. فقد يعرُض له شيءٌ يمنعه من الفعل، فسارِعْ إلى الخير ولا تتوانَ[2].

إنَّ الدلالة على الخير وإخلاص النية لله تعالى وحده لا شريك له؛ هو أمرٌ يزيد من أجر وحسنات الإنسان، ويجعله ذا شأنٍ رفيعٍ عند الله تعالى، ولا يقتصر فضل الدلالة على الخير على الفرد فقط، بل يشمل ذلك حصول الخير في سائر المجتمع، وانتشار المحبَّة والألفة بين الناس، وتحقيق تعاليم الدين الصحيحة، والتشريعات الإسلامية في المجتمع، والتقليل من الشر والسوء والضلال في المجتمع.

ثم إنَّ الدلالة على الخير يُمكن أن تتمثَّل على هيئات وأشكال مختلفة، وكلها فيها نفعٌ وفائدة، ومن هذه الصور نذكر:

١- الموعظة بشكل فردي: وهو نصح بعض الأشخاص وتوجيههم إلى الفعل الصحيح، ووعظهم بالابتعاد عن بعض الأمور التي فيها سوءٌ لهم، وذلك ضمن جلسات فردية مع هؤلاء الأشخاص.

٢- المحاضرت: القيام بأداء محاضرات بشكل متتالٍ ومستمر، تتحدَّث عن أمر مُحدَّدٍ وبيان فضله أو بيان آثاره السلبية، وتوضيح تعاليم الدين من خلال هذه المحاضرات.

٣- الدروس: تشكيل حلقات يتمُّ إعطاء الدروس فيها، وبيان طريق الخير للناس والنهج السليم في الحياة، ووعظهم وبيان أثر العمل السيء عليهم في الدنيا والآخرة

٤- المشاريع الخيرية: طرْح أفكار لأداء مشاريع خيرية مثل: مشاريع كفالة اليتيم، أو التدفئة في الشتاء وغيرها. وللدلالة على مجالات الخير من ذلك إخبار الآخرين بالكتب التي تحتوي على الفائدة أو الأسواق والجمعيات الخيرية التي تُساعد المحتاجين.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٣٣) برقم (١٨٣٤). وابن ماجه في سننه (٢/ ٩٦٢) برقم (٢٨٨٣) كتاب المناسك باب الخروج إلى الحج. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٦/ ٣٨٣). صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.



الخلاصة أنَّ الدلالة على الخير هي تعليم الناس التشريعات الإسلامية الصحيحة، وحثُّهم على إحياء السنن النبوية، والابتعاد عن كل ضلال، وعن كل أمر فيه سوء للإنسان، وهي أمرٌ فيه من الفضل الكثير والأجر العظيم الذي يُعادل أجر فاعل الخير ذاته، ويُمكن للإنسان أن يكون دالًّا على الخير من خلال كونه حسن المظهر والمعشر والأخلاق، وأن يكون ذا علمٍ ومعرفة، وأن يكون ذا سيرة حسنة، كما أنَّه من أساليب الدلالة على الخير القيام بالدروس والمحاضرات والمشاريع الخيرية والموعظة بشكل فردي، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الصالحين الدالين على الخير.



٥ رجب

أفشوا السلام بينكم

إفشاء السلام مَعْلَمٌ شرعي، وفضيلة عظيمة من فضائل الإسلام، ورابطٌ معنوي من روابط الإيمان، وواجبٌ اجتماعي جعله الإسلام من حقِّ المسلم على أخيه المسلم، وسببًا عظيمًا من أسباب الألفة والمحبَّة والأخوة التي تربط المسلم بأخيه المسلم، وتُصيِّر الناس كأنَّهم أمَّة واحدة يعرف بعضهم بعضًا، ويُحبُّ بعضهم بعضًا، كما جعل فيه من الأجر والخير والثواب ما يكون طريقًا إلى رضوان الله وجنَّته.

وتحية الإسلام هي التحية التي شرعها النبيُّ الكريم صلى الله عليه وسلم لأمَّته؛ وهي إرث أبيه آدم- عليه السلام- التي علَّمها الله سبحانه وتعالى له، وأمره بإلقائها على الملائكة أول لقائه لهم في الجنة؛ لتكون تحيته وتحية ذريته من بعده، وقد واظب النبي صلى الله عليه وسلم عليها، وحثَّ أصحابه على إفشائها.

ومعنى تحية الإسلام: الدعاء بالسلامة؛ فأنتَ تدعو لمن تُلقي عليه السلام بأن يُسلِّمَه الله من كلِّ آفةٍ؛ أي من الأمراض والشرور والمعاصي ومن عذاب النار، ولذلك قيل للجنة دار السلام؛ لأنَّها دار السلامة من كلِّ مكروهات النفس، قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[١].

والسلام أيضًا تحيَّة أهل الجنة فيما بينهم، وبها تُحيِّيهم الملائكة الكرام، وهي تُطمئنهم بأنَّه لن يصيبهم أيُّ مكروهٍ بإذن الله. والسلام اسمٌ من أسماء الله الحسنى. وقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" الْمُسْلِمُ مَن سَلِمَ المسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ" رواه البخاري ومسلم[٢].

قال الإمام النووي: معنى السلام: قيل: هو اسم الله تعالى، فقوله: السلام عليك؛ أي: اسم السلام عليك، ومعناه: اسم الله عليك؛ أي: أنتَ في حفظه، كما يقال: الله معك، والله يصحَبُك، وقيل: السلام بمعنى السلامة؛ أي: السلامة ملازمة لك[٣].

---

(١) الأنعام: ١٢٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١) برقم (١٠) كتاب الإيمان باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٥) برقم (٤١) كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٤١). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.



كما أمر الإسلام بإفشاء السلام لفظًا يُردِّده المسلمون، فتنتشر معاني السلام بينهم، وتتنزَّل عليهم الرحمات والبركات قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١).

والذي نصَّ عليه المفسرون في تأويل هذه الآية ثلاثة أمور:

- أن يُسلِّم الإنسان على أخيه إذا دخل بيته.
- أن يُسلِّم على أهل بيته إذا دخل عليهم.
- أن يُسلِّم على عباد الله الصالحين إن كان البيت خاليًا(٢).

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: أي: فلْيسلِّمْ بعضُكم على بعض، لأنَّ المسلمين كأنَّهم شخصٌ واحدٌ، مِن توادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم، فالسلام مشروعٌ لدخول سائر البيوت، من غير فرْق بين بيتٍ وبيتٍ، والاستئذان تقدَّم أنَّ فيه تفصيلًا في أحكامه، ثم مدح هذا السلام فقال: {تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً} أي: سلامكم بقولكم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أو: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، إذ تدخلون البيوت،{تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} أي: قد شرعها لكم، وجعلها تحيتكم، {مُبَارَكَةً} لاشتمالها على السلامة من النقص، وحصول الرحمة والبركة والنماء والزيادة، {طَيِّبَةً} لأنها من الكلم الطيب المحبوب عند الله، الذي فيه طيبة نفسٍ للمُحيَّا، ومحبَّة وجلب مودَّة(٣).

وقال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم: حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ :" إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فشمِّتْه، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ" رواه البخاري ومسلم(٤).

وعدَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ردَّ السلام من حقِّ الطريق، قال صلى الله عليه وسلم: إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ. فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا؟ قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا

---

(١) النور: ٦١.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٦١١). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٧٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٧١) برقم (١٢٤٠) كتاب الجنائز باب الأمر باتباع الجنائز. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٥) برقم (٢١٦٢) كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام. تنبيه: لفظ البخاري: "حق المسلم على المسلم خمس" دون قوله: "وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ".



الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا. قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ :" غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ" رواه البخاري ومسلم(١).

ويُشترَط في ابتداء السلام وجوابه رفْعُ الصوت بحيث يحصل الاستماع، فعن ابنِ عمرَ- رضي الله عنهما-: إذا سلَّمْتَ فأسمِعْ؛ فإنَّها تحيةٌ من عندِ اللهِ(٢).

ويختلف حكم إلقاء السّلام عن حكم ردِّ السلام عند العلماء، فإلقاء السلام عند جمهور العلماء سُنَّة عينٍ على المنفرد، وسُنَّة كفاية على الجماعة، والأفضل السلام من جميعهم لتحصيل الأجر.

وأمَّا ردُّ السلام ففرضٌ بالإجماع، فإن كان السلام على واحدٍ فهو فرض عينٍ في حقِّه، وإن كان على جماعة فهو فرض كفاية، فإذا أجاب واحدٌ منهم أجزأ عن البقيَّة، وسقط الحرج عن الباقين، ودليل الوجوب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾(٣).

ولإفشاء السلام بين الناس فضائل وثمرات كثيرة، نذكر منها:

١- إفشاء السلام سبيلٌ لنشر معاني المحبَّة والتوادِّ والألفة بين المسلمين: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولَا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلَا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلَامَ بيْنَكُمْ" رواه مسلم(٤).

٢- إفشاء السلام سببٌ لنيل الأجر الكبير الذي وعد به النبيُّ صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة- رضي الله عنه-" أنَّ رجلًا مرَّ علَى رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهوَ في مجلسٍ فقَالَ: السَّلَامُ عليكم. فقالَ: عشرُ حسَناتٍ. فمرَّ رجلٌ آخرُ فقالَ: السَّلامُ عليكُم ورحمةُ اللَّهِ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٢) برقم (٢٤٦٥)كتاب المظالم والغصب باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦٧٥) برقم (٢١٢١)كتاب اللباس والزينة باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص ٣٤٧) برقم (١٠٠٥) باب يسمع إذا سلم. وصحح إسناده الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٣٨٥). الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) النساء: ٨٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٥٤)كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها



فقالَ: عِشرونَ حسنةً. فمرَّ رجُلٌ آخرُ فقالَ: السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبرَكاتُهُ. فقالَ: ثلاثونَ حسنةً" رواه ابن حبان(١).

٣- إفشاء السلام سببٌ لسلامة الصدر من الأحقاد والضغائن: قال النبي- صلى الله عليه وسلم:" أفشوا السَّلَامَ تَسلَمُوا" رواه البخاري في الأدب المفرد(٢).

٤- إفشاء السلام خير الأعمال التي يُتقرَّب بها إلى الله تعالى: عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما-:" أنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم: أيُّ الإسْلَامِ خَيْرٌ؟ قالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرَأُ السَّلَامَ علَى مَن عَرَفْتَ ومَن لَمْ تَعْرِفْ" رواه البخاري(٣).

٥- إفشاء السلام سببٌ لمغفرة الذنوب وسببٌ لدخول الجنة: لحديث النبي صلى الله عليه وسلم:"يا أيُّها الناسُ؛ أَفشُوا السلامَ، وأطعِموا الطعامَ، وصَلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ؛ تدخُلوا الجنَّةَ بسلامٍ" رواه ابن ماجه(٤).

قال الشاعر:

أمـرُّ بصـاحبي أُلـقي السَـلَامَا ... أميـلُ إليـهِ حُبًّـا واحترامَـا

فما أصفى القلوبَ إذا تآخَتْ ... وأشقاها إذا شحنَتْ خِصـامَا(٥)

وهناك آدابٌ لردِّ السلام بيَّنَها العلماء، نذكُر بعضها: منها بسْط الوجه وانشراح الصدْر أثناء ردِّ السلام؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ" رواه مسلم(٦)، وإدخال السرور على المسلمين من الأمور المستحبَّة التي يُؤجَر عليها المسلم.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٤٦) برقم (٤٩٣). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٣٧٨). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٩٤) برقم (١٨٥٣٠). والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٧٥) برقم (٧٨٧) باب الغناء واللهو. وحسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٩٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٢) كتاب الإيمان باب: إطعام الطعام من الإسلام. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٥) برقم (٣٩) كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٢٠١) برقم (٢٣٧٨٤). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٢) برقم (٢٤٨٥) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٢٣) برقم (١٣٣٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في قيام الليل. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٣/ ٣٣٤).

(٥) الأبيات من قصيدة لمحمود مفلح كما في **https://ebadalrehman-new.ahlamontada.com/t2295-topic**.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٦) برقم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.



وأيضًا أن يُسلِّم الصغير على الكبير، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير؛ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم:" يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ علَى الكَبِيرِ، والمارُّ علَى القاعِدِ، والقَلِيلُ علَى الكَثِيرِ" رواه البخاري[١].

أما الأماكن أو الحالات التي يُكره فيها إلقاء السلام؛ فمنها: السلام على من يُؤذّن أو يُقيم الصلاة، والسلام على المنشغل بالقراءة والذكر والتلبية، والسلام على المنشغل بالأكل، كذا السلام على مَن يقضي حاجته أو في مكان قضاء الحاجة- أي بيت الخلاء-، وأيضًا السلام في حال خُطبة الجمعة.

الخلاصة: إفشاء السلام من تعاليم دين الإسلام الحنيف التي تدعو إلى نشر المحبَّة والألفة في المجتمع، وهو دعاء بالسلامة من كلِّ شرٍّ ومرضٍ وذنبٍ، وهو سبيلٌ لتكفير السيئات والخطايا، وسببٌ مُيسَّرٌ لنيل الأجر الكبير والفوز بالجنة، وعلى المسلم أن يكون حصيفًا؛ فيتأدَّب بآداب السلام التي بيَّنها علماؤنا، ويتحرَّى الأماكن التي يُكرَه فيها إلقاء السلام؛ ليكون مُتمثِّلًا بهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٢) برقم (٦٢٣١) كتاب الاستئذان باب تسليم القليل على الكثير.



٦ رجب

فضل الأذان

الأذان من الشعائر العظيمة التي جاء بها الإسلام، وهو الإعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة، والأذان على قلة ألفاظه مشتملٌ على مسائل العقيدة، لأنَّه بدأ بالأكبرية، وهي تتضمَّن وجود الله وكماله، ثم ثَنَّى بالتوحيد، ونفْي الشرك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد- صلى الله عليه وسلم-، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة، لأنَّها لا تُعرَف إلَّا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيدًا، ويحصل من الأذان الإعلام بدخول الوقت، والدعاء إلى الجماعة، وإظهار شعائر الإسلام، والحكمة في اختيار القول له دون الفعل سهولة القول وتيسُّره لكل أحدٍ في كل زمان ومكان.

أمَّا الإقامة فهي: الإعلام بالقيام للصلاة بذكر مخصوص.

وحكم الأذان في حقِّ الجماعة أنَّه فرض كفاية للصلوات الخمس المفروضة فقط في السفر والحضر؛ لأنَّه من شعائر الإسلام الظاهرة، فلا يجوز تعطيله، قال النبي- صلى الله عليه وسلم-:" فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ" متفق عليه(١).

أمَّا في حقِّ المنفرد فهو سُنَّة، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ- رضى الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَم فِي رَأسِ شَظِيَّةِ الْجَبَلِ (قطعة مرتفعة في رأس الجبل) يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ الله جل وعلا: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، يُؤَذِّنُ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ؛ يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّة" رواه النسائي(٢).

أمَّا عن الحكمة من الأذان فهي الإعلام بدخول وقت الصلاة ومكانها، والحث على صلاة الجماعة، وتنبيه الغافلين، وتذكير الناسين؛ لأداء الصلاة التي هي من أجَلِّ النعم.

وقد شُرِع الأذان في السنة الأولى من الهجرة، وسببه أنَّه لما دعت الحاجة إلى وضع علامة يعرف بها الجميع دخول وقت الصلاة؛ تشاور المسلمون في ذلك، فلما كان من الليل رأى عبد الله بن زيد في المنام رجلًا يحمل ناقوسًا (وهو الجرس) فقال له: أتبيع هذا الناقوس؟ فقال الرجل:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٨) برقم (٦٢٨) كتاب الأذان باب من قال: ليؤذن في السفر مؤذن واحد. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٦٥) برقم (٦٧٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب من أحق بالإمامة.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨/ ٦٤٩) برقم (١٧٤٤٢). والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٢٤٧) برقم (١٦٤٢) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، الأذان لمن يصلي وحده. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٢/ ٣١٠).



ماذا تعمل به؟ قال عبد الله: ندعو به إلى الصلاة. فقال الرجل: ألا أدلك على ما هو خير منه؟ قال عبد الله: بلى. فَعَلَّمه الأذان المعروف، ثم علَّمه الإقامة. قال عبد الله: فلما أصبحتُ أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرتُه بما رأيتُ، فقال صلى الله عليه وسلم:" إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ- إِنْ شَاءَ اللهُ- فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِهَا عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ" رواه أبو داود(١).

والأَذَانُ مِنْ خَيْرِ الأَعْمَال الَّتِي تُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَفِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي فَضْلِهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: ما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إذا نودي للصلاة أدبَر الشيطان وله ضُراط؛ حتى لا يسمعَ التأذين، فإذا قضىَ النِّداء أقبَل، حتى إذا ثُوِّب بالصلاة أدبَر ... " رواه البخاري(٢).

أيضًا مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- عَنْ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال:" لو يَعلمُ الناسُ ما في النِّداءِ والصفِّ الأول، ثمَّ لم يجدوا إلَّا أن يَسْتَهِموا عليه لاستهموا" رواه البخاري(٣). لأنَّ كلًّا إذا علم وتحقَّق ما في الأذان مِن عظيم الأجْر، وجزيل الثواب أحبَّ أن يَسبِق إليه، ويختصَّ هو بالأذان، وغيره أيضًا يُحبُّ ذلك فوجبتِ القُرعة لحلِّ النِّزاع بينهم، إنَّه الفضل العظيم والثواب الجزيل الذي لو عَلِمه الناس، لتسابقوا عليه ولحصلَ بينهم التنافُس، ورغِب كلُّ واحدٍ أن يكونَ هو السابق والنائل له، حتَّى لا يحلَّ نزاعَهم إلا القُرعة.

ويشهد للمؤذن عند الله جل وعلا يوم القيامة كلُّ ما يبلغه صوته، قال صلى الله عليه وسلم:" لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ، وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ؛ إِلَّا شَهِدَ لَه يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه البخاري(٤).

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ- رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ:" المؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ القِيَامَةِ" أخرجه مسلم(٥).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٦/ ٤٠٢) برقم (١٦٤٧٨). وأبو داود في سننه (١/ ١٣٥) برقم (٤٩٩) كتاب الصلاة باب كيف الأذان. والحديث قال عنه الألباني: "(حديث عبد الله بن زيد) حسن صحيح، (رواية ابن إسحاق عن الزهري) صحيح، (رواية معمر و يونس عن الزهري) صحيح، لكن الأصح تربيع التكبير" صحيح وضعيف سنن أبي داود (١/ ٤٩٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٥) برقم (٦٠٨) كتاب الأذان باب فضل التأذين. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٩١) برقم (٣٨٩) كتاب الصلاة باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٥) كتاب الأذان باب الاستهام في الأذان. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٢٥) برقم (٤٣٧) كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٥) برقم (٦٠٩) كتاب الأذان باب رفع الصوت بالنداء.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٩٠) برقم (٣٨٧) كتاب الصلاة باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه.



وعن فضل متابعة الأذان يَقُولُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:" إِذَا سَمِعْتُمُ المؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ" أخرجه مسلم(١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ- رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ قال حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ" رواه البخاري(٢).

وللدعاء بين الأذان والإقامة فضلٌ عظيمٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رَضِيَ اللهُ عَنهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذانِ وَالإِقَامَةِ" رواه أبو داود(٣).

ومن أحكام الأذان والإقامة أنَّه لا يجوز الخروج من المسجد بعد الأذان وقبل إقامة الصلاة؛ لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه- حين رأى رجلًا يجتاز المسجد خارجًا بعد الأذان، فقال: أمَّا هذا فقد عصى أبا القاسم(٤).

ولا يُؤذَّن ولا يُقام لشيء من النوافل، ولا للعيدين، ولا للاستسقاء، ولا لصلاة الجنازة، ولا للكسوف، إلَّا أنَّه يقول في الكسوف: الصلاة جامعة. كما يقول المؤذِّن في المطر أو البرد الشديد بعد (حَيَّ على الفلاح): ألَا صلُّوا في رحالكم.

الخلاصة: روى ابن ماجه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ أَذَّنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَكُتِبَ لَهُ بِتَأْذِينِهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ سِتُّونَ حَسَنَةً، وَبِإِقَامَتِهِ ثَلاثُونَ حَسَنَةً"(٥).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٨٨) برقم (٣٨٤) كتاب الصلاة باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل له الوسيلة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٤) كتاب الأذان باب الدعاء عند النداء.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٩/ ٢٣٤) برقم (١٢٢٠٠). وأبو داود في سننه (١/ ١٤٤) برقم (٥٢١) كتاب الصلاة باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة. والترمذي في جامعه (١/ ٤١٦) برقم (٢١٢) أبواب الصلاة باب ما جاء في أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٢) برقم (٩٨١٢) كتاب عمل اليوم والليلة الترغيب في الدعاء بين الأذان والإقامة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١/ ٢١٢).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٣) برقم (٦٥٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٢٤١) برقم (٧٢٨) كتاب الأذان والسنة فيه باب فضل الأذان، وثواب المؤذنين. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١٠٢).



قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: وفي هذا الحديث فضلٌ ظاهرٌ للمؤذِّن على أذانه هذه المدَّة المذكورة فيه، ولا يخفى أنَّ ذلك مشروط بمَن أذَّن خالصًا لوجه الله تعالى، لا يبتغي من ورائه رزقًا ولا رياءً ولا سُمعة؛ للأدلَّة الكثيرة في الكتاب والسُّنَّة، التي تُفيد أنَّ الله لا يقبل من الأعمال إلَّا ما خلص، وإنَّ ممَّا يؤسف له حقًّا أن هذه العبادة العظيمة، والشعيرة الإسلامية قد انصرف أكثر علماء المسلمين عنها في بلادنا، فلا تكاد ترى أحدًا منهم يُؤذِّن في مسجدٍ ما؛ إلَّا ما شاء الله، بل ربما خجلوا من القيام بها، بينما تراهم يتهافتون على الإمامة، بل ويتخاصمون، فإلى الله المشتكى من غربة هذا الزمان[١].

قال الشاعر:

إِذَا مَا دَعَا دَاعِي الهُدَى فِي المآذِنِ وَجَـالَ صَـدَاهُ فِي القُـرَى وَالمـدَائِنِ

أُصَلِّي عَلَى المخْتَـارِ طَهَ وَصَحْبِهِ نَبِيِّ الوَرَى المنْصُورِ صَافِي المعَادِنِ[٢]

---

(١) ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١٠٤).

(٢) البيتان للشاعر ماجد الراوي. ينظر: http://www.alapn.co/ar/?p=82423.



٧ رجب

فضل أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم

خَلَق الله الخلْق وفاضَلَ بينهم؛ فخلقَ آدم بيده وأسجدَ له الملائكةَ تكريمًا له، ثم أهبطَه وزوجَه إلى الأرض، وتفرَّقَت ذرِّيَّتُه في الأمصار وطالَت بهم الأزمان، وجعلَهم في الأرض أُممًا مُتفاضِلين، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾(١)، ولقد ختم الله سبحانه وتعالى الرسالات برسالة الإسلام، وختم النبوة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفضَّل أمَّة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على سائر الناس، وجعلها خير الأمم التي قادت وَهَدَتْ وأنقذت، وقد خصَّ الله هذه الأمَّةَ بالفضلِ والتكريم على سائر الأُمَم، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾(٢)، وجاء القُرآنُ بمدحِها والثناءِ عليها، قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٣)، قال ابنُ عبَّاس- رضي الله عنهما-: أي شرَّفُكم(٤).

ولهذه الأمَّة من الفضائل ما لا يُعدُّ ولا يُحصى، ومن تلك الفضائل:

فضيلة الخيريَّة؛ قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾(٥).

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: يمدح الله تعالى هذه الأمَّة، ويخبر أنَّها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكلِّ ما أمَرَ الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ المتضمِّن دعوة الخلْق إلى الله، وجهادهم على ذلك، وبذْل المستطاع في ردِّهم عن ضلالهم وغيِّهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمَّة أخرجت للناس(٦).

قلتُ: هذه الأمة نالتْ هذه الفضيلة (الخيرية من بين الأمم) لثلاثة أسباب: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله. فإذا فقدت الأمَّة تلك الميزات فإنَّها لا تستحقُّ تلك الفضيلة.

---

(١) الأنعام: ١٦٥.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) الأنبياء: ١٠.

(٤) ينظر: ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٥٥). ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٣-١٩٩٣.

(٥) آل عمران: ١١٠.

(٦) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٤٣).



وقد اختلف العلماء في هذه الخيرية؛ لمن تكون؟ فقيل: إنَّها نزلت في الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو قول ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-. وقال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- مَن فعَل فِعْلهم كان مثلَهم. وقال الحسن بن أبي الحسن، وجماعة من أهل العلم: معنى الآية خطاب الأمَّة بأنَّهم خير أمَّةٍ أُخرجت للناس[١]. ويُؤيِّد هذا التأويل كونهم شهداء على الناس يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[٢]. وقد روى الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنَّه سمِع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى: { كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ } قال:" إنَّكم تُتمُّونَ سَبعينَ أمَّةً، أنتُمْ خَيرُها وأَكْرمُها على اللهِ".

وفضيلة الوسطية؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾[٣].

قال الإمام القرطبي: إنَّ أحمد الأشياء وسطها. ولما كان الوسط مُجانبًا للغلو والتقصير فيه؛ كان محمودًا[٤]. إنَّ الله تعالى قد قبل شهادة الأمَّة الإسلامية على غيرها من الأمم السابقة، وهذا يعني عدالة هذه الأمَّة؛ لأنَّ الله لا يقبل الشهادة إلَّا مِن عادل، وهذه شهادة مِن أعدل العادلين بهذه الأمَّة. وهذه الفضيلة لا توجد في دين من الأديان. ووسطية هذه الأمَّة تعني وسطية منهجها ونظامها؛ فهو منهج لأمَّة وسط، وهو منهج الاعتدال والتوازن الذي سلم من الإفراط والتفريط، أو من الغلو والتقصير.

وفضيلة اليُسر والسهولة ووضع الأغلال عنها؛ قال تعالى:﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾[٥]، وقال تعالى:﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[٦].

والحرج في الآية المتقدِّمة: الضيق، والشدَّة في الأوامر والنواهي. فعن جابر- رضي الله عنه- قال: قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان (٥/ ٦٧١). تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢/ ١٥٤). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٥) الحج: ٧٨.

(٦) البقرة: ١٨٥.

شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً" رواه البخاري[(١)].

وقد اختلف العلماء في هذا الحرج الذي رفعه الله تعالى، فقال عكرمة: هو ما أحلَّه تعالى من النساء مثنى وثلاث ورباع وما ملكتْ يمينُك. وقيل: المراد قصْر الصلاة، والإفطار للمسافر، وصلاة الإيماء لمن لا يَقدر، وحطّ الجهاد عن الأعمى والأعرج والمريض، والعديم الذي لا يجد ما ينفق، وكذلك الغريم الذي عليه دَين، وجواز الصلاة في كلِّ مكانٍ في الأرض، عكس الأمم السابقة التي لا تُقبَل منها الصلاة إلَّا في الصوامع والكنائس والبيَّع، وإحلال الغنائم لهذه الأمة[(٢)]، ومنها أيضًا إذا أكل أو شرب ناسيًا؛ كان صومه مقبولًا، ورفْع الخطأ والنسيان وما استكره الإنسان عليه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ اللهَ تعالى وضَعَ عن أُمَّتِي الخطأَ والنسيانَ وما اسْتُكرِهوا عليه" رواه ابن ماجه[(٣)].

ومِن ذلك أنَّ الله لا يُؤاخذهم على اللمم، وأنَّ الإنسان لا يُكلَّف أكثر من طاقته. كذلك وضَعَ عنهم الإصْر والأغلال التي كانت على بني إسرائيل؛ وكانت التوبة من الذنوب لا تُقبَل مِن أحدهم إلَّا بقتل نفسه. وهو ما رجَّحه الإمام الشوكاني قال: والظاهر أنَّ الآية أعمُّ[(٤)]. يُؤيِّد ذلك عموم قوله صلى الله عليه وسلم:" يَسِّرُوا ولَا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا" متفق عليه[(٥)]. وقوله:" لن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلَّا غلبه، فسدِّدوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيءٍ من الدلجة" رواه البخاري[(٦)].

وفضيلة حِفْظِ الله لهذه الأمة دينَها ووعْدِه بإظهاره، فقال جلَّ شأنُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[(٧)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٣٣٥) كتاب التيمم. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠) برقم (٥٢١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٠٠).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٦٥٩) برقم (٢٠٤٥) كتاب الطلاق باب طلاق المكره والناسي ولفظه: "إن الله قد تجاوز عن أمتي ...". والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٥/ ٤٥).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٥٧). فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٥) برقم (٦٩) كتاب العلم باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٥٩) برقم (١٧٣٤) كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير، وترك التنفير.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٩) كتاب الإيمان باب الدين يسر.

(٧) التوبة: ٣٣.

وبشَّرنا النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الإسلامَ سيبلُغُ الآفاق، لقوله صلى الله عليه وسلم:"إنَّ اللهَ زوَى ليَ الأرضَ فرأيتُ مشارِقَها ومغارِبَها، وإنَّ أمَّتي سيبلُغُ مُلكُها ما زُوِيَ لي منها" رواه مسلم(١).

وفضيلة اكتمال الدين وإتمام النعمة على هذه الأمَّة المحمَّديَّة، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾(٢).

الخلاصة: هل أدركتْ هذه الأمَّة مقدار ذلك التفضيل وذلك التكريم؟! وهل حافظتْ على تلك النعم التي أنعم الله بها عليها؟! وهل قامت بواجبها المنوط بها تجاه خالقها العظيم، وتجاه دينه، وتجاه أمَّتِهم، وتجاه العالم أجمع؛ بالدعوة الجادَّة إلى دينه في كلِّ بقاع الأرض حقَّ القيام، وشكرتْه حقَّ شكره بالقول والعمل؟! أم أنَّهم ما زالوا في دوامات وتيارات ما يأتيهم من الشرق والغرب من أفكار هدَّامة، ومبادئ هزيلة سامة وحضارة خواء؟!! ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾(٣).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢١٥) برقم (٢٨٨٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) إبراهيم: ٧.



٨ رجب

فضل الاختلاط بالناس

اعلم أنَّ العزلة عن الناس طورًا والاختلاط بهم طورًا؛ ضروريتان للإنسان تارة وواجبتان تارة، وذلك أنَّ الإنسان مضطرٌ في بعض أحواله إلى التفرُّد، ولكنَّ حديثنا عن أنَّه مُضطرٌ في أكثر أحواله إلى الاجتماع مع الناس لتعلُّق حاجته بهم. ولهذا قيل: الإنسان مدني بالطبع، لأنَّه لا بُدَّ من مخالطة بعضهم بعضًا لنقصان بهم، وتعلُّق ضرورات بعضهم ببعض في مراعاة أمورهم، ولذلك قال عبد الله بن عبَّاس- رضي الله عنهما- لرجُلٍ- سمعه يقول: اللهمَّ أغنني عن الناس-: أيُّها الرجُل؛ ما أراكَ تسأل الله إلَّا الموت! إنَّ الناس ما داموا أحياء؛ لا يستغني بعضهم عن بعض، فقل: اللهمَّ أغنني عن شرار الناس[١].

فالناس خُلِقوا كأعضاء لجسم واحد لا يستغنى بعضها عن بعض، وسُمِّي إنسانًا لأُنس بعضهم ببعض، لا كما قال أبو تمام:

لا تَنسَيَن تِلكَ العُهودَ فَإِنَّما   سُمّيتَ إِنسانًا لِأَنَّكَ ناسي[٢]

وأفضل الاختلاط بالناس؛ هو حضور جمعهم وجماعاتهم، ومشاهد الخير، ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم، وحضور جنائزهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم، وغير ذلك من مصالحهم، لمِن قدر عَلَى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء، وصبر عَلَى الأذى، وهذا من أفضل العبادات.

والاخْتِلاط بالنَّاسِ على الوجه الذي ذكرناه هو المختار الذي كان عليه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فمِن أفعاله صلى الله عليه وسلم: كجهاده في سبيل الله، ودعوة الناس في خطب الجمعة، ودروسه وتذكيره للناس، ففي هذا كلِّه مخالطة لهم، فلا نحتاج أن نقول: كان يختلط بهم في كذا وكذا، فقد كانت كلُّ حياته صلى الله عليه وسلم اختلاطًا بالناس من المؤمنين وغيرهم؛ يُعلِّمهم

---

(١) ينظر: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار (ص: ٢١٠). روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، المؤلف: محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم (المتوفى: ٩٤٠هـ)، الناشر: دار القلم العربي، حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ..

(٢) ينظر: توجيه اللمع (ص: ٥٦٨). توجيه اللمع، المؤلف: أحمد بن الحسين بن الخباز، دراسة وتحقيق: أ. د. فايز زكي محمد دياب، أستاذ اللغويات بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة –كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

ويهديهم إلى ربّه سبحانه[١]، وسائِر الأَنبياء- صلواتُ اللَّهِ وسلامه عَلَيْهِم-، وكذلك الخلفاء الراشدون وَمَن بعدهُم مِنَ الصحابةِ والتابعين، ومَن بَعدَهُم مِن علَماءِ المسلمينَ وأَخيارِهم، وهو مذهب أكثر التابعين ومَنْ بَعدَهُم، وَبِهِ قَالَ الشَّافعيُّ وأَحْمَدُ وأَكْثَرُ الفُقَهَاءِ أَجمعين[٢].

روى الترمذي وابن ماجه في سننهما من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ؛ أَعظَمُ أَجرًا مِنَ المؤمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ[٣].

كما استدلُّوا بما أوجبه الله على المسلمين من حضور الجُمَع والجماعات، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، وإجابة دعوتهم، وأمْرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ولا يتحقَّق ذلك إلَّا بمُخالطتهم.

والصواب هو التفصيل في ذلك: فمَن آتاه الله العلم والقوة، واستطاع القيام بحقِّ المخالَطة من تعليم العلم، والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلامة مِن الفتن؛ فالاختلاط في حقِّ هذا أفضل؛ ومَن لم يكن قادرًا على ذلك ويخشى الفتنة في دينه، فالعزلة في حقِّه أولى، والأوَّل أفضل من الثاني كما جاء النصُّ بذلك في الحديث المتقدِّم.

جاء في الموسوعة الفقهية أنَّ: المخالَطة فيها اكتساب الفوائد، وشهود شعائر الإسلام، وتكثير سواد المسلمين، وإيصال الخير إليهم ولو بعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وإفشاء السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البرِّ والتقوى، وإعانة المحتاج، وحضور جماعاتهم، وغير ذلك مما يقدر عليه كلُّ أحدٍ[٤].

والذي ينبغي اجتنابه هو فضول المخالطة، لأنَّها تُفضي إلى تضييع الأوقات، وربَّما الوقوع في المحرَّمات.

وجاء في الموسوعة الفقهية أيضًا: والمطلوب إنَّما هو ترْك فضول الصحبة، لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقْت عن المهمَّات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغداء والعشاء، فيقتصر منه على ما لا بُدَّ له منه، فهو روح البدن والقلب[٥].

---

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين - حطيبة (٤٥/ ٨، بترقيم الشاملة آليا). شرح رياض الصالحين، المؤلف: الشيخ الطبيب أحمد حطيبة، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٢) رياض الصالحين (ص: ٢٠٠). رياض الصالحين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل رئيس قسم الحديث -كلية العلوم الإسلامية - جامعة الأنبار، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٦٤) برقم (٥٠٢٢). وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٣٨) برقم (٤٠٣٢) كتاب الفتن باب الصبر على البلاء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٣٢).

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٠/ ٨٤).

(٥) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٠/ ٨٥).



قال الغزالي: إن وجدتَ جليسًا يُذكِّرك اللهَ رؤيتُه وسيرتُه فالزمْه ولا تفارقْه، واغتنمْه ولا تستحقرْه، فإنّها غنيمة المؤمن وضالَّتُه، وتحقَّق أنَّ الجليس الصالح خيرٌ من الوِحْدة، وأنَّ الوِحْدة خيرٌ مِن الجليس السوء[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: فهذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها؛ إمَّا نزاعًا كليًا، وإمَّا حاليًا، فحقيقة الأمر أنَّ الخلطة تارة تكون واجبة، أو مُستحبَّة، والشخص الواحد قد يكون مأمورًا بالمخالطة تارة، وبالانفراد تارة. وجماع ذلك: أنَّ المخالطة إن كان فيها تعاونٌ على البرِّ والتقوى فهي مأمورٌ بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهيٌّ عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات كالصلوات الخمس، والجمعة، والعيدين، وصلاة الكسوف، والاستسقاء، ونحو ذلك هو ممَّا أمَرَ الله به ورسولُه- صلى الله عليه وسلم-.

وكذلك الاختلاط بهم في الحج، وفي غزو الكُفَّار، والخوارج المارقين، وإن كان أئمة ذلك فُجَّارًا، وإن كان في تلك الجماعات فُجَّار، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيمانًا إمَّا لانتفاعه به، وإمَّا لنفعه له ونحو ذلك.

ولا بُدَّ للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه، وذكره، وصلاته، وتفكُّره ومحاسبة نفسه، وإصلاح قلبه، وما يختصُّ به من الأمور التي لا يُشركه فيها غيره، فهذا يحتاج فيها إلى انفراد بنفسه، إمَّا في بيته، كما قال طاووس: نِعْمَ صومعة الرجل بيته، يكفُّ فيها بصره، ولسانه، وإمَّا في غير بيته.

فاختيار المخالطة مطلقًا خطأ، واختيار الانفراد مطلقًا خطأ، وأمَّا مقدار ما يحتاج إليه كلُّ إنسانٍ من هذا وهذا وما هو الأصلح له في كل حال؛ فهذا يحتاج إلى نظر خاص[٢].

الخلاصة: هذا الكلام النفيس للعلامة ابن القيم- رحمه الله- حيث يقول: إنَّ فضول المخالطة هي الداء العضال الجالب لكلِّ شرٍّ، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات، تزول الجبال الراسيات وهي في القلوب لا تزول، ففضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة، وإنَّما ينبغي للعبد أن يأخذ مِن المخالطة بمقدار الحاجة ويجعل الناس فيها أربعة أقسام، متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينها؛ دخل عليه الشرُّ.

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ٢٣٢). إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٢٥).



أحدها: مَن مخالطته كالغذاء لا يُستغنَى عنه في اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه ترَكَ الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام، وهذا الضرب أعزُّ من الكبريت الأحمر، وهم العلماء بالله تعالى وأمْره ومكايد عدوه وأمراض القلوب وأدويتها، الناصحون لله تعالى ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولخلقه، فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كلُّه.

القسم الثاني: مَن مخالطته كالدواء، يُحتاج إليه عند المرض، فما دمتَ صحيحًا فلا حاجة لك في خلطته، وهم مَن لا يُستغنَى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، وقيام ما أنتَ مُحتاجٌ إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها، فإذا قضيتَ حاجتك مِن مخالطة هذا الضرب بقيتْ مخالطتهم من القسم الثالث.

وهم: مَن مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوَّته وضعفه.

القسم الرابع: مَن مخالطته الهلك كلُّه، ومخالطته بمنزلة أكل السم، فإن اتَّفق لأكله ترياقٌ، وإلَّا فأحسنَ الله فيه العزاء، وما أكثرَ هذا الضرب في الناس، لا كثَّرهم الله، وهم أهل البدع والضلالة، الصادُّون عن سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الداعون إلى خلافها، الذين يَصدُّون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا[1].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٧٣). بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.



٩ رجب

آداب قضاء الحاجة

إنَّ لفظة الخلاء وقضاء الحاجة هي بذاتها تُعدُّ أدبًا من الآداب الإسلامية، إذ إنَّ الشريعة الإسلامية استخدمت ذلك اللفظ كناية عن خروج النجاسة من السبيلين، ولا شك أنَّ هذا اللفظ الكنائي أجمل من أن يتمَّ ذكر الاسم الخارج صراحةً، وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأدب في قول الله تعالى:﴿ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾(١). حيث إنه استخدم لفظ الغائط والذي يأتي بمعنى المكان النازل والهابط من الأرض كناية عمَّا يخرج من السبيلين.

والحاجة: كنايةٌ عن خروج البول والغائط، وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم:" إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَى حَاجَتِهِ، فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا" رواه مسلم(٢).

وآداب قضاء الحاجة كثيرة، ويُستحبُّ تعلُّم هذه الآداب، بل وقد يجب أحيانًا، ومنها:-

١- يُستحبُّ عدم اصطحاب ما فيه اسم الله؛ لأنَّ ذلك من تعظيم شعائر الله، ولا يحرُم ذلك لعدم ثبوت ما يمنع ذلك، وخاصة إذا حفظه من التلوُّث بالنجاسات.

٢- يُستحبُّ الابتعاد والتَسَتُّر عن الناس عند إرادة قضاء الحاجة، لفعله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح سنن أبي داود عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم" كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد"(٣)، ولا يُستحبُّ الاستتار بشيءٍ إذا لم يوجد أحدٌ من الناس، لعدم ثبوت شيء في ذلك.

٣- لا يجوز التخلِّي في الطُرُقِ والظِلالِ والمواردِ، لحديث:" اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ" رواه الحاكم(٤). والموارد هي: المواضع التي يأتيها الناس كالأنهار والعيون والآبار، وأبواب المساجد وغيرها.

---

(١) النساء: ٤٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٤) برقم (٢٦٥) كتاب الطهارة باب الاستطابة.

(٣) رواه أبو داود في سننه (١/ ١) برقم (٢) كتاب الطهارة باب التخلي عند قضاء الحاجة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١/ ٨٠).

(٤) رواه أبو داود في سننه (١/ ٧) برقم (٢٦) كتاب الطهارة باب المواضع التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البول فيها. وابن ماجه في سننه (١/ ١١٩) برقم (٣٢٨) كتاب الطهارة وسننها باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق. والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٢٧٣) برقم (٥٩٤). والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١/ ١٠٤). المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.



٤- يُستحبُّ قول: بسم الله، اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الخبث والخبائث؛ لما ثبت عن أنس- رضي الله عنه- قال:" كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ الخَلَاءَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ" رواه البخاري ومسلم(١). ولما ثبت عند الترمذي وابن ماجه مرفوعًا:" سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الخَلَاءَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ"(٢).

٥- يجوز الاستنجاء بالماء أو بالحجارة، أو بما يقوم مقامهما، كالورق وكلِّ مُنقٍّ، وهناك أحاديث في النهي عن الاستجمار بالرجيع والعظم ، فيجوز الاستنجاء بغيرها، ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم أنَّه جمع بين الماء والحجارة.

٦- يُستحبُّ دلْك اليد بالتراب بعد الاستنجاء: لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه-:" أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ اسْتَنْجَى مِنْ تَوْرٍ، ثُمَّ دَلَكَ يَدَهُ بِالْأَرْضِ" رواه ابن ماجه(٣)، واستعمال الصابون ونحوه يُجزئ عن ذلك.

٧- لا يجوز تحادُثُ اثنين على غائطهما؛ ينظر كلٌّ منهما إلى عورة صاحبه، لما أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي سعيد- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم -:" لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ عَلَى غَائِطِهِمَا، يَنْظُرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَوْرَةِ صَاحِبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمْقُتُ عَلَى ذَلِكَ"(٤).

٨- يجوز الكلام المباح حال قضاء الحاجة لعدم صحَّة ما يمنع ذلك، وإن كان الكلام في نفسه مُستهجنًا حال قضاء الحاجة.

٩- لا يجوز ذكْر الله تعالى أثناء قضاء الحاجة: لما رواه الجماعة إلَّا البخاري عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال :" مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَبُولُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٤٠) برقم (١٤٢) كتاب الوضوء باب ما يقول عند الخلاء. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٨٣) برقم (٣٧٥) كتاب الحيض باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٢/ ٥٠٣) برقم (٦٠٦) أبواب السفر باب ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء. وابن ماجه في سننه (١/ ١٠٩) برقم (٢٩٧) كتاب الطهارة وسننها باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٣٦٩).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٢٨) برقم (٣٥٨) كتاب الطهارة وسننها باب من دلك يده بالأرض بعد الاستنجاء. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٤٣٠).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٧/ ٤١٢) برقم (١١٣١٠). وأبو داود في سننه (١/ ٤) برقم (١٥) كتاب الطهارة باب كراهية الكلام عند الحاجة. والنسائي السنن الكبرى (١/ ٨٦) برقم (٣٥) النهي للمتغوطين أن يتحدثا. وابن ماجه في سننه (١/ ١٢٣) برقم (٣٤٢) كتاب الطهارة وسننها باب النهي عن الاجتماع على الخلاء والحديث عنده. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٤١٤).



السَّلَامَ"(١)، وكذلك ما رواه ابن ماجه عن جابر- رضي الله عنه-:" إِذَا رَأَيْتَنِي عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ فَلَا تُسَلِّمْ عَلَيَّ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَمْ أَرُدَّ عَلَيْكَ"(٢)، فنهاه عن السلام وهو واجبٌ، فيدلُّ على تحريم ذكْر الله أثناء قضاء الحاجة، فلا تجوز الأذكار الشرعية وإجابة المؤذن وتشميت العاطس وتلاوة القرآن وذكْر الله حال قضاء الحاجة.

١٠- لا يجوز مسُّ الذكر باليمين أثناء التبوُّل: لما في الصحيحين عن أبي قتادة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَا يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ" رواه مسلم(٣).

١١- ولا يجوز التمسُّح والاستنجاء من الخلاء باليمين، لحديث أبي قتادة- رضي الله عنه:"... لا يُمْسِكَنَّ أحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بيَمِينِهِ وهو يَبُولُ، وَلَا يَتَمَسَّحْ مِنَ الخَلَاءِ بيَمِينِهِ" رواه مسلم(٤).

١٢- يجب التنزُّه من البول والاستتار من رشاشه، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تَنَزَّهُوا مِنَ الْبَوْلِ؛ فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ" رواه الدارقطني(٥)، ولحديث" الَّذَيْنِ يُعذَّبان في قبريهما، وإنَّ أحدهما كان لا يستتر من بوله" رواه البخاري ومسلم(٦).

١٣- ومن آداب قضاء الحاجة أنه لا يجوز استقبال واستدبار القبلة ببول أو غائط، في الفضاء والبنيان، على القول الراجح من أقوال العلماء، لظاهر أحاديث النهي القولية، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم:" إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا بِبَوْلٍ وَلَا غَائِطٍ، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا" رواه البخاري، قال أبو أيوب الأنصاري- رضي الله عنه-:" فَقَدِمْنَا الشَّامَ فَوَجَدْنَا مَرَاحِيضَ قَدْ بُنِيَتْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ، فَنَنْحَرِفُ عَنْهَا وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ"(٧).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٨١) برقم (٣٧٠) كتاب الحيض باب التيمم.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٢٦) برقم (٣٥٢) كتاب الطهارة وسنننها باب الرجل يسلم عليه وهو يبول. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٤٢٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١١٢) برقم (٥٦٣٠) كتاب الأشربة باب النهي عن التنفس في الإناء. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٥) برقم (٢٦٧) كتاب الطهارة باب النهي عن الاستنجاء باليمين.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٥) برقم (٢٦٧) كتاب الطهارة باب النهي عن الاستنجاء باليمين.

(٥) رواه الدارقطني في سننه (١/ ٢٣١) برقم (٤٥٩) كتاب الطهارة باب نجاسة البول والأمر بالتنزه منه والحكم في بول ما يؤكل لحمه. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ٣١٠). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٩) برقم (١٣٧٨) كتاب الجنائز باب عذاب القبر من الغيبة والبول. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٤٠) برقم (٢٩٢) كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

(٧) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨٨) برقم (٣٩٤) كتاب الصلاة باب قبلة أهل المدينة وأهل الشأم والمشرق. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٤) برقم (٢٦٤) كتاب الطهارة باب الاستطابة.

١٤- لا يجوز الاستنجاء بأقل من ثلاثة أحجار: لحديث سلمان عند مسلم والأربعة قال: " لَقَدْ نَهَانَا صلى الله عليه وسلم أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ" واللفظ لمسلم(١)، وإذا لم يحصل الإنقاء بثلاثة أحجار تجوز الزيادة حتى يُنقي، ويُستحبُّ الإيتار، لحديث:" إِذَا اسْتَجْمَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُوتِرْ" رواه مسلم(٢)، ولم يرد دليلٌ صحيحٌ في كيفية استعمال الأحجار.

١٥- الاستجمار بثلاثة أحجار للغائط فقط: أمَّا الخارج من القُبل كالبول والمذي فلا عدد فيه لعدم وجود الدليل، والدليل في الغائط فقط.

١٦- لا يجوز الاستنجاء بالرجيع وهو الرَوَث؛ لأنَّه رجسٌ أي: حرامٌ، وكذلك لا يجوز الاستنجاء بالعظم؛ لأنَّه طعام الجنِّ كما في البخاري(٣)، فقد صحَّ النهي عن الاستنجاء بهما في حديث سلمان- رضي الله عنه-:" أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نهانا عن أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ"(٤).

وكذلك لا يجوز الاستنجاء بما له حُرمة: كورق التفسير والحديث وكُتب الدِّين، وكذلك لا يجوز الاستنجاء بالحمم، وهو الفحم، لما رواه أبو داود مرفوعًا:" يَا مُحَمَّدُ؛ انْهَ أُمَّتَكَ أَنْ يَسْتَنْجُوا بِعَظْمٍ أَوْ رَوْثَةٍ أَوْ حُمَمَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَنَا فِيهَا رِزْقًا"(٥).

١٧- يقوم غير الحجارة ممَّا يُنقي مقامهما في الاستنجاء: لأنَّ الأمر بالحجارة خرج على الغالب؛ لأنَّه المتيسَّر، وللنهي عن الاستجمار بالعظم والروث والحمم، فيُفهَم منه أنَّ غيرها من الأشياء كالورق والخِرَقِ وغيرها يُطَهِّرُ ذلك.

١٨- يُستحبُّ قول: (غُفرانَك) إذا فرغ من قضاء حاجته؛ لما أخرجه الخمسة، وهو في صحيح سنن أبي داود عن عائشة- رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الغَائِطِ قَالَ:" غُفْرَانَكَ"(٦).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٣) برقم (٢٦٢) كتاب الطهارة باب الاستطابة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢١٣) برقم (٢٣٩) كتاب الطهارة باب الإيتار في الاستنثار والاستجمار.

(٣) جاء في مسلم بلفظ: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: " لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم». صحيح مسلم (١/ ٣٣٢) برقم (٤٥٠) كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٣) برقم (٢٦٢) كتاب الطهارة باب الاستطابة.

(٥) رواه أبو داود في سننه (١/ ١٠) برقم (٣٩) كتاب الطهارة باب ما ينهى عنه أن يستنجى به. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١/ ١١٧).

(٦) رواه أحمد في مسنده (٤٢/ ١٢٤) برقم (٢٥٢٢٠). وأبو داود في سننه (١/ ٨) برقم (٣٠) كتاب الطهارة باب ما يقول الرجل إذا خرج من الخلاء. والترمذي في جامعه (١/ ١٢) برقم (٧) أبواب الطهارة باب ما يقول إذا خرج من الخلاء. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٥) برقم (٩٨٢٤) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا خرج من الخلاء. وابن ماجه في سننه (١/ ١١٠) برقم (٣٠٠) كتاب الطهارة وسننها باب ما يقول إذا خرج من الخلاء. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ٩١).



١٩- ويجوز التبوُّل قائمًا إذا أَمِنَ الرشاش على القول الراجح، لما أخرجه الستة عن حذيفة- رضي الله عنه- قال:" أَتَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سُبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا" [١]. وذكر ابن حجر في الفتح: ثبوت ذلك عن عمر وعليٍّ وزيد بن ثابت وغيرهم- رضي الله عنهم- أنَّهم بالوا قيامًا؛ ولأنَّه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن ذلك شيء[٢].

٢٠- لا يجوز البول في الماء الراكد أو المستَحَمِّ، لحديث جابر- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه" نَهَى أَنْ يُبالَ فِي الماءِ الرَّاكِدِ" رواه مسلم[٣].

الخلاصة: هذه بعض آداب قضاء الحاجة، والناظر إلى هذه الآداب لا يخفى عليه حرص الهدي النبوي على صحَّة الإنسان، وحمايته من الأمراض، والحرص أيضًا على النبات والحيوان، والحفاظ على البيئة من التلوُّث أو الضرر.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٤) برقم (٢٢٤) كتاب الوضوء باب البول قائمًا وقاعدًا. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٨) برقم (٢٧٣) كتاب الطهارة باب المسح على الخفين.

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٣٣٠). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٣٥) برقم (٢٨١) كتاب الطهارة باب النهي عن البول في الماء الراكد.



١٠ رجب

فضل التبكير لصلاة الجمعة

إنَّ يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وقد صرف الله تعالى عنه الأمم السابقة، وجعله يومًا فاضلًا لهذه الأُمَّة المرحومة، وفيه من الأعمال الصالحة ما يحسُن بالمسلم الحرصُ عليها، والإتيان بها، والتبكير إلى الجمعة هو سويعات يقضيها المسلم في بيت من بيوت الله تعالى، مُنتظِرًا للصلاة، ذاكرًا لله تعالى بما يُوفِّقه الله إليه من الأقوال والأفعال، وذلك فضلٌ عظيمٌ يُؤتيه الله تعالى مَنْ يشاء، والله ذو الفضل العظيم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى هو يهنأ بتلك الساعات، وتقرُّ عينه بدعوات الملائكة له بقولهم: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ"، فلو تأمَّل المتأخِّر ما يناله المتقدِّم من الأجور والمنح؛ لبادر كما يبادر الموفَّقون، وعمل ما يكون سببًا لتبكيره، ومبادرته لهذا العمل المبارك، ففي الصحيحين عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجِّر كمثل الذي يُهدي بدنة، ثم كالذي يُهدي بقرة، ثم كبشًا، ثم دجاجة، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستمعون الذِّكر"[١].

وللتبكير إلى الصلاة عامة فضائل وفوائد عديدة، منها: ترديد الأذان خلف المؤذِّن، والدُّعاء بعد الأذان، والتواجد أثناء وقت تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها، وحضور صلاة الجماعةِ كاملة من غير نُقصان، وكسْب التأمين خلف الإمام في حال كانت الصلاة جهرية، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا قالَ الإمامُ:" غيرِ المغضوبِ عليهم ولَا الضَّالِّين"، فقولوا:" آمينَ"، فإنَّه مَن وافقَ قولُهُ قولَ الملائِكةِ غفرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ" رواه البخاري[٢].

كذلك من الفضائل: الصلاة في الصَّفِ الأول من صُفوف المصلِّين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لو يعلمُ النَّاسُ ما في النِّداءِ والصَّفِّ الأوَّلِ ثمَّ لم يجِدوا إلَّا أن يستَهِموا عليه لاستَهموا" رواه البخاري[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١١) برقم (٩٢٩) كتاب الجمعة باب الاستماع إلى الخطبة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٥٨٢) برقم (٨٥٠) كتاب الجمعة باب الطيب والسواك يوم الجمعة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٥٦) برقم (٧٨٢) كتاب الأذان باب جهر المأموم بالتأمين. ومسلم في صحيحه (١/ ١٣٦) برقم (٤٠٩) كتاب الصلاة باب التسميع، والتحميد، والتأمين.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٥) كتاب الأذان باب الاستهام في الأذان. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٢٥) برقم (٤٣٧) كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام.

أيضًا الحرص على الصلاة في الجانب الأيمن من الصفوف، وأداء ما شرعه الله من النوافل بين الأذان والإقامة؛ كقراءة القرآن، والدُّعاء، وقراءة الأذكار، والاستغفار.

كذلك استغفار الملائكة للعبد طوال انتظاره للصلاة، وحصول الأجر والثواب أثناء ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" المَلَائِكَةُ تُصَلِّي علَى أحَدِكُمْ ما دامَ في مُصَلَّاهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ له، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لَا يَزالُ أحَدُكُمْ في صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أنْ يَنْقَلِبَ إلى أهْله إلَّا الصلاة" رواه البخاري(١).

وحضور صلاة الجمعةِ مُبكّرًا له فضلٌ كبيرٌ وعظيمٌ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن غسَّلَ واغتَسلَ يومَ الجمعةِ، وبكَّر وابتكر، ومشَى ولم يركب، ودنا من الإمامِ، واستمع، ولم يلغُ كان له بكلِّ خطوةٍ أجرُ عملِ سنة، صيامها وقيامها، وذلك على الله يسير" رواه أبو داود(٢).

ويُراد بلفظ التهجير إلى الصلاة: التبكير إليها وحضورها في أول وقتها، ويُطلَق التبكير على المبادرة أيضًا، ويتحقَّق التبكير إلى الصلاة بالتأهُّب والاستعداد لها قبل الانشغال بغيرها عنها، وإن كان لفظ التبكير مُخفَّفًا فمعناه التعجيل بالحضور، ويحصل التبكير لمن هو في المسجد بتجهيز نفسه للصلاة والاستعداد لها، ويُسَنُّ التبكير في الحضور إلى المسجد إن كان مأمومًا، أمَّا الإمام فالسُّنَّة في حقِّه التأخير، وذلك اتِّباعًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومَن بعدَه مِن الخلفاء الراشدين، ويتحصَّل في حضور المصلِّي مُبكِّرًا الاقتراب من الإمام، وبالتبكير ينال فضل وأجر انتظار الصلاة، فتزداد بهذا حسناته.

وقد اختلف العلماء في معنى (بكَّر وابتكر) على أقوال:

١- بكَّر: أتى الصلاة في أول وقتها، وكلُّ من أسرع إلى شيء فقد بكَّر إليه، وأما ابتكر فمعناه: أدرك أوَّل الخطبة، وأوَّل كلِّ شيءٍ باكورته، وقال ابن قتيبة: وأما قوله: (بَكَّر) فإنَّ العوام تذهب في

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٢) برقم (٦٥٩) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه مختصرًا (١/ ٤٦٠) برقم (٦٤٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٦/ ٩٣) برقم (١٦١٧٣). وأبو داود في سننه (١/ ٩٥) برقم (٣٤٥) كتاب الطهارة باب في الغسل يوم الجمعة. والترمذي في جامعه (٢/ ٣٦٧) برقم (٤٩٦) أبواب الجماعة باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٢٦٨) برقم (١٦٩٧) كتاب الجمعة، فضل الغسل. وابن ماجه في سننه (١/ ٣٤٦) برقم (١٠٨٧) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٤٣٧). مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.



هذا إلى أنَّه الغدو إلى المسجد الجامع، وليس كذلك إنَّما التبكير ها هنا إتيان الصلاة لأوَّل وقتها، وكلُّ مَن أسرع إلى شيءٍ فقد بكّر إليه.

٢- (بكَّر) أي: في بكرة النهار، وهي أوَّله. وابتكر: بالغ في التبكير، أي: جاء في أوَّل البكرة. فهو للمبالغة والتوكيد.

٣- (بكَّر): راح في الساعة الأولى، (وابتكر): فَعَلَ فِعْلَ المبتكرين من الصلاة والقراءة وسائر وجوه الطاعة. ذكره النووي وحكاه عن الغزالي، والقاضي أبي الطيب[١].

واختلف أهل العلم في أفضل وقت الذهاب إلى الجمعة؟ على قولين:

القول الأول: لا يُستحبُّ التبكير قبل الزوال، وهو قول مالك. واستدلَّ بعدة أدلة:

أ – قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" مَن راح إلى الجمعة". والرواح بعد الزوال، وعمَلُ أهل المدينة أنَّهم كانوا لا يذهبون إلَّا بعد الزوال.

ب – عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَغَدْوَةٌ في سبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ؛ خَيْرٌ مِن الدُّنْيَا وَمَا فِيها" رواه ابن البخاري[٢]، فالغدوة بالغداة، والرواح بعد الزوال.

وقد أنكر ابن القيم على الإمام مالك عمل أهل المدينة فقال:" وأمَّا كون أهل المدينة لم يكونوا يروحون إلى الجمعة أوَّل النهار؛ فهذا غاية عملهم في زمان مالك- رحمه الله-، وهذا ليس بحُجَّة ولا عند مَن يقول: إجماع أهل المدينة حُجَّة، فإنَّ هذا ليس فيه إلَّا ترْك الرواح إلى الجمعة من أوَّل النهار، وهذا جائزٌ بالضرورة، وقد يكون اشتغال الرجل بمصالحه، ومصالح أهله ومعاشه، وغير ذلك من أمور دينه ودنياه؛ أفضل من رواحه إلى الجمعة من أوَّل النهار[٣]".

القول الثاني: أفضل وقت من أوَّل النهار، فكلَّما كان أبكر كان أولى وأفضل. وهذا مذهب الأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وابن المنذر. واستدلوا بعدة أدلة:

---

(١) ينظر: المجموع شرح المهذب (٤/ ٥٤٣)؛ مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود (١/ ٢١٢). المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)) المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار الفكر. مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، المؤلف: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ)، بعناية: محمد شايب شريف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦) برقم (٢٧٩٢) كتاب الجهاد والسير باب الغدوة والروحة في سبيل الله، وقاب قوس أحدكم من الجنة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٩٩) برقم (١٨٨٠) كتاب الإمارة باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٩٣).

أ – حديث أبي هريرة– رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَن اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرَّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يسمعون الذكر" رواه البخاري ومسلم(١).

ب – وروى علقمة قال:" خرجت مع عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه– إلى الجمعة، فوجد ثلاثة قد سبقوه، فقال: رابع أربعة، وما رابع أربعة ببعيد، إِنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إنَّ الناس يجلسون من الله– عز وجل– يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعة" رواه ابن ماجه(٢).

الخلاصة: تُعدُّ الصلاة على وقتها من أفضل الأعمال التي يقوم بها المسلم، والتبكير إلى الجمعة، والقُرْبُ من الإمام عملٌ كبيرٌ فاضِلٌ، فإنَّ الله تعالى يتجلَّى لأوليائه المؤمنين في الجَنَّة في كلِّ يوم جمعة، ويزورونه، فيكون أقربُهم منه أقربَهم إلى الإمام، وأسبقُهم إلى زيارة الله أسبقَهم إلى الجمعة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٣) برقم (٨٨١) كتاب الجمعة باب فضل الجمعة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٥٨٢) برقم (٨٥٠) كتاب الجمعة باب الطيب والسواك يوم الجمعة.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٣٤٨) برقم (١٠٩٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في التهجير إلى الجمعة. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٣/ ٩٤).

١١ رجب

فضل السواك

السِّواكُ نوعٌ من أنواع النظافة، وخصلة من خصالها، وسُنَّة في شرعنا، شرعه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورغَّب فيه، وبيَّن لنا فضله وأحكامه.

ومعرفة أحكام السواك من الفقه في الدين، ومن العلم النافع للمسلم في الدنيا والآخرة، والسِّواكُ يُطلَق على الفعل وهو الاستياك، ويُطلَق على الآلة التي يُستاك بها؛ يُقال: ساك فاه يسوكه سَوكًا إذا دلَّكه بالسواك، والسواك هو استعمال عودٍ أو نحوه في الأسنان؛ لإذهاب التغيُّر ونحوه، وهو مندوبٌ إليه، وهو من سُنن الفطرة، وهذا باتِّفاق المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وحُكي الإجماع على ذلك، قال الإمام النووي- رحمه الله-: السواك مُستحبٌّ في جميع الأوقات؛ لكن في خمسة أوقات أشدُّ استحبابًا: عند الصلاة، وعند الوضوء، وعند قراءة القرآن، وعند الاستيقاظ من النوم، وعند تغيُّر الفم، وتغيُّره يكون بأشياء منها: ترْك الأكل والشرب، ومنها أكْل ما له رائحة كريهة، ومنها طول السكوت وكثرة الكلام[١].

والأدلة من السُّنَّة على استحبابه:

١- عن أبي هريرة- رضي اللهُ عنه- أن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم قال:" لولا أن أشُقَّ على أمَّتي- أو على النَّاس- لأمَرتُهم بالسِّواكِ مع كلِّ صلاةٍ " رواه البخاري[٢]، ووجه الدَّلالة أنَّ السِّواكَ لو كان واجبًا؛ لأمرهم به صلى الله عليه وسلم؛ شقَّ أو لم يشُقَّ.

٢- عن عائشةَ- رَضِيَ اللهُ عنها- أنَّها كانت تقولُ:" إنَّ مِن نِعَمِ اللهِ عليَّ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تُوفِّي في بَيتي، وفي يَومِي، وبين سَحْرِي ونَحْرِي، وأنَّ اللهَ جمَع بين رِيقي ورِيقِه عند مَوتِه؛ دخَل عليَّ عبدُ الرَّحمنِ وبيَدِه السِّواكُ، وأنا مُسنِدةٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فرَأيتُه ينظُرُ إليه، وعَرفتُ أنَّه يُحِبُّ السِّواكَ، فقُلتُ: آخُذُه لك؟ فأشار برأسِه: أنْ نعَمْ، فتناولتُه فاشتدَّ عليه، وقلتُ: أُلَيِّنُه لك؟ فأشار برأسِه: أنْ نعَمْ، فلَيَّنْتُه، فأمَرَّه" رواه البخاري[٣].

٣-عن عائشةَ- رَضِيَ اللهُ عنها-:" أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان إذا دخَلَ بَيتَه بدأ بالسِّواكِ" رواه مسلم[٤].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٤٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٤) برقم (٨٨٧) كتاب الجمعة باب السواك يوم الجمعة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٣) برقم (٤٤٤٩) كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٠) برقم (٢٥٣) كتاب الطهارة باب السواك.



أما عن الحالات التي يُشرَع فيها السِّواك فمنها:

الأول: السِّواكُ للصائم: لا يُكرَه للصائم استعمال السواك في أي وقت، سواء كان قبل الزوال أو بعد الزوال، وهذا مذهب الحنفية، وهو قول للشافعي، ورواية عن أحمد، وبه قالت طائفة من السلف، واختاره ابن تيمية، وابن القيم، والشوكاني، وابن باز، وابن عثيمين، فعن عائشة- رضي اللهُ عنها- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" السِّواكُ مَطهرةٌ للفَمِ، مَرضاةٌ للربِّ" رواه البخاري مُعلَّقًا(1).

وجْهُ الدَّلالة: أنَّه إذا كان السِّواكُ مَرضاةً للرَّبِّ؛ فمَرضاةُ اللهِ مَطلوبةٌ دائمًا، وفي كلِّ وقتٍ دُونَ استثناءٍ، وإذا كان مَطهرةً للفَمِ؛ فإنَّه يتأكَّدُ في حقِّ الصَّائِمِ أكثرَ مِن غَيرِه؛ لحاجَتِه إلى تطهيرِ الفَمِ وتَخفيفِ أثَرِ الخُلوفِ؛ وذلك لأنَّ مِن أسبابِ مَشروعيَّةِ السِّواكِ تَطهيرَ الفَم، والسواك عبادة غير مؤقَّتة بوقتٍ، بل تجوز في جميع الأوقات على رأي جمهور أهل العلم؛ خلافًا للشافعية الذين كرهوه آخر النهار للصائم، أمَّا معجون الأسنان فيجوز للصائم استخدامه بشرط أن لا يتسرَّب لجوفه. وقد اختلف العلماء في استخدام السواك للصائم بعد الظهر، فالشافعية منعوه إعمالًا لحديث" لخلوف فم الصائم......." (2)، والجمهور على الجواز، لأحاديث فضل السواك، ولأنَّ طيب الرائحة لا يعود إلى الرائحة أصلًا بل يعود إلى الصيام ذاته.

الثاني: السِّواكِ عند الوضوء: يُسنُّ السواك عند الوضوء، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة؛ فعن أبي هُرَيرةَ- رَضِيَ اللهُ عنه- عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" لولا أنْ أشُقَّ على أُمَّتي لأمَرتُهم بالسِّواكِ مع كلِّ وُضوءٍ" رواه البخاري مُعلَّقًا(3).

الثالث: السِّواكُ عند ذِكرِ اللهِ وعند قراءةِ القُرآن: يُستحَبُّ السِّواكُ عند ذِكرِ اللهِ وقراءةِ القُرآنِ، وهذا باتِّفاقِ المذاهِبِ الفِقهيَّةِ الأربَعةِ: الحنفيَّة، والمالكيَّة، والشافعيَّة، والحنابلة؛ فعن عليٍّ- رَضِيَ اللهُ عنه- قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" إنَّ العَبدَ إذا تَسوَّكَ ثم قام يُصلِّي؛ قام الملَك خلْفَه، فتسمَّع لقراءَتِه، فيدنو منه- أو كلمةً نحوها- حتَّى يضعَ فاه على فِيه، فما يخرُجُ من فيه شيءٌ مِنَ القرآن إلَّا صار في جوفِ الملَك؛ فطهِّروا أفواهَكم للقُرآنِ" صحَّحه الألباني(4).

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٣١) باب سواك الرطب واليابس للصائم.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٦٤) برقم (٥٩٢٧) كتاب اللباس باب ما يذكر في المسك. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٧) برقم (١١٥١) كتاب الصيام باب فضل الصيام.

(٣) صحيح البخاري (٣/ ٣١) ولفظه: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء".

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٢١٥).



الرابع: السِّواكُ عند دُخولِ البَيتِ: يُستحبُّ السِّواكُ عند دُخولِ المِنزلِ، وهذا باتِّفاقِ المذاهِبِ الفِقهيَّةِ الأربَعةِ: الحنفيَّة، والمالكيَّة، والشافعيَّة، والحنابلة؛ فعن شُرَيح قال:" سألتُ عائشةَ- رضي اللهُ عنها- قُلتُ: بأيِّ شيءٍ كان يبدأُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا دخَل بيتَه؟ قالت: بالسِّواكِ" رواه مسلم[١].

الخامس: السِّواكُ عند الاستيقاظِ مِن النَّوم: يُستحبُّ السِّواكُ عند الاستيقاظِ مِن النَّومِ، وهذا باتِّفاقِ المذاهِبِ الفِقهيَّةِ الأربَعةِ، فعن حُذَيفةَ بنِ اليَمانِ- رَضِيَ اللهُ عنه- قال:" كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا قام مِن اللَّيلِ يَشوصُ فاه بالسِّواكِ" رواه البخاري[٢].

السادس: السِّواكُ عند تغيُّرِ الفَم: يُستحبُّ السِّواكُ عند تغيُّرِ رائحةِ الفَمِ، وهذا باتِّفاقِ المذاهِبِ الفِقهيَّةِ الأربَعةِ، فعن حُذَيفةَ بنِ اليَمانِ- رَضِيَ اللهُ عنه- قال:" كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا قام مِن اللَّيلِ يَشوصُ فاه بالسِّواكِ" رواه البخاري ومسلم[٣].

أما عن كيفية الاستياك فالأفضل الاستياكُ باليَدِ اليُمنى، عن عائشةَ- رَضي اللهِ عنها- قالت:" كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعجِبُه التيمُّنُ في تنعُّلِه وترجُّلِه وطُهورِه، وفي شأنِه كلِّه" رواه البخاري[٤]، والسواك عِبادةٌ مَقصودة، وما كان عبادة مَقصودة؛ كان باليَمين.

هذا ولم يثبت دعاء ولا ذِكر يُقال عند السِّواكِ أو قبله أو بعده.

الخلاصة: السِّواك من الفطرةِ وخصالها، وقد صحَّ عن السبعة إلَّا البخاري:" عشر من الفطرة؛ وذكَر منها السواكَ"[٥]. وقد ذُكر في السِّواكِ أكثر من مائة حديثٍ. قال الإمام الصنعاني: فواعجبًا لسُنَّةٍ تأتي فيها الأحاديث الكثيرةُ ثم يُهمِلُها كثيرٌ من الناس، بل كثيرٌ من الفقهاءِ، فهذه خيبة عظيمة[٦].

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٠) برقم (٢٥٣) كتاب الطهارة باب السواك.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٨) برقم (٢٤٥) كتاب الوضوء باب السواك. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٠) برقم (٢٥٥) كتاب الطهارة باب السواك.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٨) برقم (٢٤٥) كتاب الوضوء باب السواك. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٠) برقم (٢٥٥) كتاب الطهارة باب السواك.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٤٥) برقم (١٦٨) كتاب الوضوء باب التيمن في الوضوء والغسل. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٦) برقم (٢٦٨) كتاب الطهارة باب التيمن في الطهور وغيره.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٣) برقم (٢٦١) كتاب الطهارة باب خصال الفطرة.

(٦) سبل السلام (١/ ٥٧). سبل السلام، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.



ومن فوائده الصِّحِّيَّة أنَّه يُطيِّبُ الفم، ويُقلِّل البلغَم، ومُقوٍّ لِلَّثةِ، ويَمنعُ تَسَوُّسَ الأسنانِ، ويُنقِّي الأسنان، ويُساعدُ في هَضْمِ الطعامِ، ويطردُ النَّومَ، ويُميط الأذَى بأنواعه عن الفَمِ.

ولقد ورد ذكْر السواك في الشعر العربي، فمِن ذلك قولُ بعضهم:

تَاللهِ إنْ جُـــزْتَ بـــوَادي الأرَاكِ　　وقَبَّلَـتْ أغصـانُهُ الخُضـرُ فـاكَ

فابعثْ إلى المملـــوكِ مِن بعضِها　　فـــإنَّني واللهِ مَـــا لِي سِـــوَاكَ[١]

(١) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (٢/ ٦٨). نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ..

١٢ رجب

فضل صدقة السر

للصدقة فوائد وأسرار لا يُدركها إلَّا مَن جرَّبها، وذاق حلاوتها، واستشعر سعادة العطاء عبْرها. فقد نتكلَّم عن سعادة الفقير عندما يصله طعامٌ يسدُّ جوعه، أو مالٌ يُعيلُ به أُسرته، أو أرملةٍ تمنحها سقفًا يمُدُّها بالدفء والأمان لها ولأولادها. لكن ماذا عن سعادة المعطي وهو يستشعر فوائدها؟ فتلك تعكس فلسفة العطاء لدى المسلم، وتلك هي السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

وصدقة السر من أكبر مظاهر وبراهين صدق إيمان الإنسان وإخلاصه لمولاه سبحانه، وهذه الصفة ترفع درجات الإنسان وتُعلي شأنه عند ربِّه، ومن أهمِّ فوائد إخفاء الصدقة رفْع نفسيَّة الفقير، وإلزام المتصدِّق جانب التواضع وعدم السعي نحو السمعة والرياء. ومن فضائل صدقة السر الكبيرة والكثيرة أنَّ: الصَّدقة مِن أسباب النجاة من حرِّ يوم القيامة. وهي من أسباب دخول الجنَّة والعتق من النَّار. كما أنَّها تجلب البركة والزيادة والخلف من الله تعالى. ويترتَّب عليها الأجر العظيم، والصدقة الخفية من أفضل أنواع الصدقات؛ لأنَّها أقرب إلى الإخلاص من المعلَنة، وفي ذلك يقول جل وعلا: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]. قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في قوله تعالى:" إن تبدوا الصدقات" أي: فتُظهروها وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله" فنعمَّا هي" أي: فنعم الشيء هي؛ لحصول المقصود بها "وإن تخفوها" أي: تُسرُّوها "وتؤتوها الفقراء فهو خيرٌ لكم"، ففي هذا أنَّ صدقة السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية، وأمَّا إذا لم تؤت الصدقات الفقراء؛ فمفهوم الآية أنَّ السرَّ ليس خيرًا من العلانية، فيرجع في ذلك إلى المصلحة، فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه؛ فهو أفضل من الإسرار، ودلَّ قوله: "وتؤتوها الفقراء" على أنَّه ينبغي للمُتصدِّق أن يتحرَّى بصدقته المحتاجين، ولا يُعطي مُحتاجًا وغيرُه أحوجُ منه، ولما ذكر تعالى أنَّ الصدقة خيرٌ للمُتصدِّق ويتضمَّن ذلك حصول الثواب قال: "ويُكفِّر عنكم من سيئاتكم" ففيه دفْع العقاب "والله بما تعملون خبير" من خير وشر، قليل وكثير، والمقصود من ذلك المجازاة[2]؛ فأخبر أنَّ إعطاءها للفقير في خفية خيرٌ للمنفِق من إظهارها وإعلانها، وتأمَّل تقييده تعالى الإخفاء

---

(١) البقرة: ٢٧١.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١١٦).



بإتيان الفقراء خاصَّة، ولم يقل: وإن تخفوها فهو خيرٌ لكم، فإنَّ مِن الصدقة ما لا يمكن إخفاؤه كتجهيز جيشٍ، وبناء قنطرة، وإجراء نهر، أو غير ذلك، وأمَّا إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد، والستر عليه، وعدم تخجيله بين الناس وإقامته مقام الفضيحة، وأن يرى الناس أنَّ يده هي اليد السفلى، وأنَّه لا شيء له، فيزهدون في معاملته ومعاوضته، وهذا قدر زائد من الإحسان إليه بمجرد الصدقة مع تضمُّنه الإخلاص، وعدم المراءاة، وطلبهم المحمدة من النّاس. وكان إخفاؤها للفقير خيرًا من إظهارها بين الناس، ومِن هذا مدَحَ النبي صلى الله عليه وسلم صدقة السِّر، وأثنى على فاعلها، وأخبر أنَّه أحد السبعة الذين هم في ظلِّ عرش الرحمن يوم القيامة، ولهذا جعله سبحانه خيرًا للمُنفِق، وأخبر أنَّه يُكفِّر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته[١].

وقال الله تعالى أيضًا: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٢].

أيضًا صدقة السر تقيك الحرَّ يوم القيامة: عن أبي هريرة– رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" سبعةٌ يُظلُّهم الله تعالى في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه: إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبُه مُعلَّقٌ في المساجد، ورجلانِ تحابَّا في الله؛ اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجلٌ دعتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجَمالٍ فقال: إنِّي أخاف الله، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها؛ حتَّى لا تعلمَ شمالُه ما تُنفقُ يمينه، ورجلٌ ذكَرَ الله خاليًا ففاضتْ عيناه" مُتَّفَق عليه[٣].

كذلك صدقة السر سببٌ من أسباب حُبِّ الله لك: روى الترمذي عن أبي ذر– رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" ثلاثةٌ يُحِبُّهم الله، وثلاثةٌ يبغضهم الله؛ فأمَّا الذين يُحِبُّهم الله؛ فرجلٌ أتى قومًا فسألهم بالله، ولم يسألهم بقرابةٍ بينه وبينهم، فمنعوه فتخلَّف رجلٌ بأعقابهم فأعطاه سرًّا لا يعلم بعطيته إلَّا الله والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحبَّ إليهم مما يُعدَل به، نزلوا فوضعوا رؤوسهم، فقام أحدهم يتملَّقني ويتلو آياتي، ورجلٌ كان في سرية، فلقِي العدو فهزموا، وأقبل بصدره حتى يُقتَل أو يُفتَح له، والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظلوم"[٤].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٣٧٦). طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

(٢) البقرة: ٢٧٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠١٣) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٢٨٥) برقم (٢١٣٥٥). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٩٨) برقم (٢٥٦٨) أبواب صفة الجنة باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٦٧) برقم (٢٣٦٢) كتاب الزكاة، ثواب من يعطي سرًّا. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٦٨).



ولعظيم أجر الصدقة ومكانتها في الإسلام، ودورها في التكافل والتعاون بين الناس؛ فقد أكَّد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في عدَّة أحاديث نبوية شريفة، ومنها ما يأتي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَا مِن يَوِمٍ يُصْبِحُ العِبادُ فِيهِ؛ إلَّا مَلَكانِ يَنْزِلانِ، فيَقولُ أحَدُهُما: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، ويقولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا" رواه البخاري(١).

وعن معاذ بن جبل- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ألَا أدلُّكَ على أبوابِ الخيرِ؟ قلتُ: بلَى يا رسولَ اللهِ، قال: الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدقةُ تُطْفِئُ الخطيئةَ كما يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ" رواه الترمذي(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَا يَتَصَدَّقُ أحَدٌ بتَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ؛ إلَّا أخَذَها اللَّهُ بيَمِينِهِ، فيُرَبِّيها كما يُرَبِّي أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أوْ قَلُوصَهُ، حتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ، أوْ أعْظَمَ" رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنه- قال:" أنَّ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ وهو علَى المِنْبَرِ، وذَكَرَ الصَّدَقَةَ، والتَّعَفُّفَ، والمسْأَلَةَ: اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، فَاليَدُ العُلْيَا: هي المُنْفِقَةُ، والسُّفْلَى: هي السَّائِلَةُ" رواه البخاري(٣).

الخلاصة: أنَّ من أسباب إخفاء صدقة السر: أنَّ في إخفائها يكون الإنسان أبعد عن الرياء والسمعة، وأيضًا لا يحصل لصاحبها من الشهرة والمدح والتعظيم، التي هي من مُحبطات الأعمال. وقد يكون في إظهار الصدقة هتكٌ لشرف الفقير، وإظهارٌ لفقره، وهذا ممَّا لا يرضاه الفقير. وقد يكون في إظهارها إذلالٌ له، وهو غير جائز، وقد يتعرَّض الفقير في إظهار الصدقة أمام الناس للتجريح والغيبة،

---

(١)رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١١٥) برقم (١٤٤٢) كتاب الزكاة باب قول الله تعالى: {فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى} [الليل: ٦] «اللهم أعط منفق مال خلفا». ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٠) برقم (١٠١٠) كتاب الزكاة باب في المنفق والممسك.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٣٤٤) برقم (٢٢٠١٦). والترمذي في جامعه (٥/ ١١) برقم (٢٦١٦) أبواب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٤) برقم (١١٣٣٠) كتاب التفسير قوله تعالى: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} [السجدة: ١٦]، وقوله تعالى: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} [السجدة: ١٧]. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣١٤) برقم (٣٩٧٣) كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٨/ ٤٧٣).

(٣)رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٨) برقم (١٤١٠) كتاب الزكاة باب الصدقة من كسب طيب لقوله: {ويربي الصدقات، والله لا يحب كل كفار أثيم، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} [البقرة: ٢٧٧]. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٢) برقم (١٠١٤) كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

بسبب ظنِّهم أنَّه غير محتاج لها، والسبب الآخر لأفضلية صدقة السر على صدقة العلانية؛ هو تأكيد القرآن والسنة على أفضلية السر على العلن. وفي هذا يقول الشاعر:

يَا مَـنْ تـَصَدَّقَ؛ مـالُ الله تبْذُلـهُ ... في أوجُـهِ الخـيرِ مَـا لِلمـالِ نُقصَـانُ

كَمْ ضاعَفَ اللهُ مَالًا جَادَ صَاحِبُهُ ... إنَّ السَـخَاءَ بِحُكـْمِ اللَّـهِ رِضـوَانُ[1]

(١) البيتان للشاعر عطا سليمان مروني. ينظر: https://lhad.yoo7.com/t7003-topic.



١٣ رجب

فضل ركعتي الفجر

مَنَّ الله تعالى على عباده بنعمة الهداية للإسلام، ومِن النعم العظيمة في إسلامنا الصلاة، إذ تُعدُّ الركن الثاني من أركان الإسلام، وتُعتبَر صلاة الفجر من أعظم الصلوات، وأكثرها فضلًا وأجرًا، فهي نورٌ لصاحبها يوم القيامة كما وعد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وبابٌ من أبواب الجنة، والمقصود بالفجر هو الشفق، ويُقصَد به الضوء في الصباح، كما يُقسَّم الفجر إلى فجرين هما؛ الفجر الأول: وهو ظهور البياض المستطيل في إحدى نواحي السماء، ثم ما يلبث النور قليلًا إلى أن ينقضي، ويحلَّ مكانه الظلام، ومن أجل ذلك يُسمَّى الفجر الكاذب. والفجر الثاني: وهو اعتراض البياض المستطير في الأفق، ويبقى النور في ازديادٍ إلى حين طلوع الشمس، لذلك يُسمَّى الفجر الصادق، فما إن يبدأ النور بالظهور حتى يتبعه انتشارٌ في الأفق، وهذا الفجر الذي تنبني عليه الأحكام، وتتعلَّق به، ويبدأ به وقت صلاة الفجر، وينتهي وقته بطلوع الشمس.

وقد اختص الله تعالى صلاة الفجر بالكثير من الأهمية، ومنها أنَّها: تعادل قيام ليلة كاملة، فقد وضَّح النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ صلاة العشاء في جماعة تعادل قيام نصف ليلة، بينما صلاة الفجر تعادل قيام ليلة كاملة. فقد صحَّ عند مسلمٍ عن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- أنَّه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" مَن صلَّى العشاء في جماعة فكأنَّما قام نصف الليل، ومَن صلَّى الصبح في جماعة فكأنَّما قام الليل كلَّه"(١).

وأيضًا سببٌ لحفْظ العبد في ذلك اليوم من البلاء والمصائب، ذلك لأنَّ صلاة الفجر أمانٌ وحفْظ من الله تعالى للعبد الذي يكون بعدها في ذمَّة الله تعالى وحفْظه ورعايته؛ فعن سمرة بن جندب- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" مَن صلَّى الصُبح في جماعةٍ فهو في ذمَّة الله تعالى" رواه ابن ماجه(٢). وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا:" مَن صلَّى الصبح فهو في ذمَّة الله، فلا يطلُبنَّكم الله مِن ذِمَّته بشيء، فإنَّ مَن يطلبه مِن ذِمَّته بشيءٍ يُدركه، ثم يكبُّه على وجهه في نار جهنَّم" رواه مسلم(٣).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٤) برقم (٦٥٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٠١) برقم (٣٩٤٦) كتاب الفتن باب المسلمون في ذمة الله عز وجل. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٨/ ٤٤٦).

(٣)رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٤) برقم (٦٥٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة.



وهي سببٌ لتحقيق النور التامِّ يوم القيامة؛ فعن سهل بن سعد الساعدي- رضي الله عنه- أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" بَشِّرِ المَشَّائين في الظُلمِ إلى المساجد بالنور التامِّ يوم القيامة" رواه ابن ماجه[١].

والحصول على الرزق والبركة فيه، فموعد الصلاة هو موعد تقسيم الأرزاق، ومَن ينام فإنَّه يفقد البركة. فصلاة الفجر تجلب الرزق الواسع؛ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اللهمَّ بارِكْ لأمَّتي في بكورها، وكان إذا بعث سَرِيَّةً أو جيشًا بعثهم أوَّلَ النهارِ" رواه أبو داود والترمذي[٢].

وهي سببٌ لدخول الجنة والتنعُّم بنعيمها؛ فعن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" مَن صلَّى البردَينِ دخل الجنة" رواه البخاري ومسلم[٣]. والبردان- كما قال أهل العلم-: هما الصبح والعصر.

كما أنَّ صلاة الفجر حجابٌ للعبد عن النار، فقد صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" لن يلج النارَ أحدٌ صلَّى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها" يعني الفجر والعصر، رواه مسلم[٤].

ومِن فضل صلاة الفجر أيضًا شهود الملائكة، وحضورها لصلاة المسلم، ودعاؤها له، فوقت صلاة الفجر وقتٌ مشهودٌ، وهذا ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾[٥].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسير هذه الآية" وَقُرْآنَ الْفَجْر" أي: صلاة الفجر، وسُمِّيتْ قُرآنًا لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها، ولفضل القراءة فيها حيث شهدها الله، وملائكة

---

(١) رواه أبو داود في سننه (١/ ١٥٤) برقم (٥٦١) كتاب الصلاة باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلام. والترمذي في جامعه (١/ ٤٣٥) برقم (٢٢٣) أبواب الصلاة باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة. وابن ماجه في سننه (١/ ٢٥٧) برقم (٧٨١) كتاب المساجد والجماعات باب المشي إلى الصلاة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٢/ ٦١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ١٧٧) برقم (١٥٤٤٣). أبو داود في سننه (٣/ ٣٥) برقم (٢٦٠٦) كتاب الجهاد باب في الابتكار في السفر. والترمذي في جامعه (٣/ ٥٠٩) برقم (١٢١٢) أبواب البيوع باب ما جاء في التبكير بالتجارة. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ١٢٠) برقم (٨٧٨٢) كتاب السير الوقت الذي يستحب فيه توجيه السرية. وابن ماجه في سننه (٢/ ٧٥٢) برقم (٢٢٣٦) كتاب التجارات باب ما يرجى من البركة في البكور. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٦/ ١٠٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٩) برقم (٥٧٤) كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة الفجر. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٤٠) برقم (٦٣٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٤٠) برقم (٦٣٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما.

(٥) الإسراء: ٧٨.



الليل وملائكة النهار[١]، والمعنى أنَّ صلاة الفجر هي الصلاة التي يجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار، ويُخبرون الله سبحانه بعدها عن حال عباده، ويؤكِّد ذلك حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم يُصلُّون، وأتيناهم يُصلُّون" رواه البخاري[٢].

ومن فضائل تلك الصلاة العظيمة؛ براءة المسلم وأمانه من صفة النفاق؛ وذلك لأنَّ أكثر صلاتين تصعبان على المنافق هما: الفجر، والعشاء، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أثقلُ الصلاة على المنافقين صلاةُ العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا" رواه البخاري ومسلم[٣].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شكَّ في إيمان رجلٍ بحث عنه في صلاة الفجر، فإن لم يجده تأكَّد عنده الشك الذي في قلبه. فقد أخرج الإمام أحمد وغيره عن أُبي بن كعب- رضي الله عنه- قال: صلَّى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم قال:" أَشَهِدَ فلانٌ الصلاة؟" قالوا: لا، قال:" ففلان"، فقالوا: لا، فقال:" إنَّ هاتين الصلاتين- أي الصبح والعشاء- مِن أثقل الصلاة على المنافقين، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا"[٤].

وروى ابن أبي شيبة بسندٍ صحيح عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنه قال:" كنَّا إذا فقدنا الرجل في صلاة الفجر والعشاء أسأنا به الظنَّ"[٥].

وصلاة سنة الفجر خير من الدنيا وما فيها كما أخبر رسول الله ﷺ :" رَكْعتا الفجْرِ خيْرٌ مِنَ الدُّنيا ومَا فِيها" رواه مسلم[٦].

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٦٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٢) برقم (٦٥٧) كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٣٩) برقم (٦٣٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٥) برقم (٥٥٥) كتاب الأذان باب فضل العشاء في الجماعة. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٥١) برقم (٦٥١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ١٨٨) برقم (٢١٢٦٥). أبو داود في سننه (١/ ١٥١) برقم (٥٥٤) كتاب الجهاد باب في فضل صلاة الجماعة. والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٤٤٤) برقم (٩١٩) كتاب المساجد، الجماعة إذا كانوا اثنين. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٢/ ٤٨٧).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٢٩٢) برقم (٣٣٥٣).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٠١) برقم (٧٢٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما، والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما.



وأقسم الله تعالى بالفجر، فقال الله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾(١).

الخلاصة: أنَّ مَن غاب عن صلاة الفجر عُرضةٌ لأن يُضرب عليه الكسل طول يومه، مع شعوره بضيقٍ في صدره، ويُصبحُ خبيث النفس كسلان، وهو ما أخبر به الحديث الذي صحَّ عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على مكان كلِّ عقدة: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلَّت عقدة، فإن توضَّأ انحلَّت عقدة، فإن صلَّى انحلَّت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلَّا أصبح خبيث النفس كسلان" رواه البخاري(٢).

وأخيرًا:

لا يغُرَّكَ عن صلاةِ الفجرِ نومٌ ... ركعتا الفجرِ خيرٌ مِنَ الحياةِ
قُمْ لا يلعبْ بك الشيطانُ قُمْ ... لا تقلْ: النوم خيرٌ مِن الصلاةِ(٣)

(١) الفجر: ١،٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٢) برقم (١١٤٢) كتاب التهجد باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣٨) برقم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

(٣) البيتان للشاعر عبد الله الطلحي الهذلي. ينظر:
https://twitter.com/talhi_abdullah/status/1158533099233468417?lang=ar



١٤ رجب

نعم المال الصالح للعبد الصالح

يُعَدُّ العمل الصالح من الأمور المهمة في الإسلام، حيث يُعدُّ العمل الصالح هو ثمرة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر، وبالرسول محمد ﷺ؛ فالعمل الصالح يعكس الصورة العمليَّة لما يؤمن به المرء ويُقرُّه في قلبه، وما هو إلَّا وسيلة للقُرب من الله- عز وجل-، وهو سببٌ لتكفير السيئات وغفران الذنوب، ومَن آمن وقرن إيمانه بالعمل الصالح فقد فاز فوزًا عظيمًا، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[1].

ويدخل في مُسمَّى العمل الصالح كلُّ عملٍ أَمَرَ الله تعالى به؛ سواء كان الأمر للوجوب أم للاستحباب، بالإضافة إلى كلِّ قربةٍ لله تعالى؛ سواء كانت مشروعة أم مباحة، ويجب أن تكون هذه الأعمال خالصةً لوجهه الكريم.

وإنَّ المال الصالح في يد الشخص الصالح؛ الذي يكسبه من حِلِّه وينفقه في حقِّه، لهو نعمة عظيمة، يجب عليه أن يشكر الله عليها، وشكْرُها يكون بالحفاظ عليها، وصرْفها فيما أمر الله به.

ومن المسلَّمات المعلومة بالضرورة؛ أنَّ المال زينة الحياة الدنيا، وأنَّه مطلوبٌ محبوبٌ، وأنَّ الإسلام لا يمنع طلبه عن طريق حلال، بل إنَّه يُحرِّض على كسبه، وحسن التصرُّف، لتُقضى به الحقوق، وتُؤدَّى الواجبات، وتُصان الحُرُمات، والمال في الحقيقة لا يُطلَب لذاته في هذه الدنيا، وإنَّما يُطلَب عادةً لما يضمنه من مصالح، ولما يُحقِّقه من منافع، إنه في حدِّ ذاته وسيلة لا غاية، والوسيلة عادة تُحمَد أو تُعاب بمقدار ما يترتَّب عليها من نتائج حسنة أو آثار سيئة، فالمال كالسلاح؛ إن كان في يد مُجرمٍ قتل به الأبرياء، وإن كان في يد مُجاهدٍ مُناضلٍ دافَع به عن دينه ونفسه وأهله ووطنه، وقد قال تعالى عن المال وما يسوقه من خيرٍ أو شرٍّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[3].

إن الشيطان بحيله ومكره يُخوِّف المؤمنين من كسب المال، فينفر طالب الآخرة منه، ويُبادر التائب يُخرِج ما في يده، فإذا أخرجوا ما بأيديهم بذلوا أوَّل السلع في التحصيل؛ دينَهم وعِرْضَهم،

---

(١) العصر: ١-٣.

(٢) الليل: ٥-١١.

(٣) العلق: ٦-٧.



ويقفون في مقام اليد السفلى التي هي الدون، والعاقل مِن الناس مَن يسعى لكسب ماله وحفْظ ما معه؛ لينجو من مُداراة غنيٍّ ظالمٍ، أو مُداهنة بطرٍ جاهلٍ، وقد تعرض نوائب كالمرض يحتاج فيها إلى شيءٍ من المال؛ فلا يجد الإنسان بُدًّا من الاضطراب في طلبته، فيبذل عِرْضه أو دينه.

إن الإسلام يريد من أهله أن يكونوا أغنياء أقوياء، لا مهازيل ضعفاء، أغنياء بمالهم ليكون سياجًا للدين، ومددًا لتسليحه وحمايته، فقد قال تعالى في قيمة المال لإحراز النصر ورفع الشأن: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[١]؛ فإنَّ الأمم تنتصر بعد توفيق الله؛ بالمال والبنين، ويوم يكون مالها أداة ترفٍ، ومصدر استعلاءٍ وطغيانٍ، ويوم يكون به الأغنياء أحلاس لهو ولعب؛ فالويل والخسران لأمَّةٍ أورثها مالُها هذه الحال.

لما فُقِدَ المالُ الصالحُ من يد الرجل الصالح؛ بُليت المجتمعات بطائفتين مُنحرِفتين: الأولى منهما هي: طائفة الأثرياء المترفين، الذين ضعُف عند بعضهم الخُلُق والدين، واستخفُّوا بقواعد الإيمان ومبادئ الإسلام، يأكلون كما تأكل الأنعام، ويشربون شُرْب الهيم، دون أن يُؤدُّوا واجبًا لدينهم أو مجتمعهم، يتعاملون في الشرف على أصول من المعدة، لا من الروح، وإذا عظَّموا الدينار والدرهم فإنَّما عظَّموا النفاق والطمع والكذب، إذ إنَّ حرصهم فوق بصيرتهم، ولهم في النفوس رائحة الخبز، دينهم في مقاييس البشر: خمس وخمس تساوي عشرة، وسجاياهم المتكرِّرة: منع وهات؛ بل هات وهات، لكنهم مع ذلك لا يجدون في المال معنى الغنى، إذ كم من غنيٍّ يجد وكأنَّه لم يجد إلَّا عكس ما كان يجد!

والطائفة الثانية: طائفة المفلسين القعدة؛ الذين يستثمرون في الكسل والبطالة والتشرُّد، دون مالٍ يملكونه، أو عملٍ يُؤدُّونه، ومع ذلك يُطلقون لأنفسهم العنان في مباءات من الانحلال والمعاصي، فيجمعون بين السوأتَينِ؛ ضلالٍ وإفلاسٍ قبيحَينِ.

إن الذين يكسلون ولا يربحون، ثم يتسوَّلون أو يحتالون باسم التكسُّب أو العيش؛ ليسوا على سواء الطريق، والذين يُحبُّون المال حبًّا جمًّا، حتى يعميهم عن دينهم وأخلاقهم، وخلواتهم القلبية وخلواتهم الروحية؛ ليسوا على سواء الطريق أيضًا؛ إذ كلا طرفي قصْد الأمور ذميم، وخير الأمور الوسط، والوسط ما قاله رسول الهُدى ﷺ:" نعم المال الصالح للرجل الصالح" رواه أحمد[٢].

---

(١) الإسراء: ٦.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ٢٩٩) برقم (١٧٧٦٣) ولفظه: "يا عمرو، نعما بالمال الصالح للرجل الصالح". والحديث صححه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ١٢٦). صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.



قال الشيخ الشنقيطي- رحمه الله-: فالمال الصالح يتوقَّف على حكم مِن الله بصلاحه، والرجل الصالح المراد به: مَن أصلح الله سريرته، وأصلح الله علانيته، فإنَّ الرجل إذا باع بيعه واتَّقى الله في بيعه، فهي شهادةٌ من النبي ﷺ بصلاحه، وهذا خيرٌ للتاجر الصالح: أن يظفر بتزكية النبي ﷺ له بكونه صالحًا، فالرجل الصالح هو الذي يسلم من الدَّخَل في قلبه، فإذا جاء إلى دكانه أو إلى بقالته أو إلى متجره أو إلى محلِّ عمله دخل وقلبه نقيًّا للمسلمين، يُحبُّ لهم ما يُحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، فإن بلغ ذلك فقد نصح لله ورسوله ﷺ ولعباده المؤمنين؛ فهذا جريرٌ اشترى فرسًا، وأعجبه هذا الفرس، فجاء إلى بائع الفرس وزاده في المال، ثمَّ ذهب وركب الفرس فأعجبه، فرجع ثانية وزاده في المال، ثم ركب مرة ثالثة فأعجبه فجاء إلى الرجل وزاده، فنظر إليه الرجل-كأنَّه يظنُّ أنَّ جريرًا به شيء في عقله- فقال جرير- رضي الله عنه-:" بايعتُ رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، والنصيحة لكل مسلم" رواه البخاري ومسلم[1]. فلن أغشَّك، رأيتُ أنَّ فرسك هذا يستحقُّ أكثر؛ فلذلك زدتُك[2].

الخلاصة: إنَّ العمل- مهما كان حقيرًا- فهو خيرٌ من البطالة، وخيرٌ من سؤال أحدٍ من ذوي المال؛ إن أعطاه فقد حمل ثقل المنَّة مع ذُلِّ السؤال، وإن منعه فقد باء بذلِّ الخيبة مع ذلِّ السؤال، والعزُّ بلا سؤال ألذُّ من كلِّ لذةٍ بسؤال، والخروج عن ربقة المنن ولو بسفِّ التراب أفضل، وإنَّ نفس الحُرِّ لتحتمل الظمأ، حتى لقد قال الفاروق:" مكسبة في دناءة خيرٌ من سؤال الناس"[3]، ولقد قال لقمان لابنه:" يا بُنيَّ؛ استغنِ بالكسب الحلال، فإنَّه ما افتقر أحدٌ إلَّا أصابته إحدى ثلاث خصال: رقَّة في دينه، أو ضعْف في عقله، أو وهاء في مروءته، وأعظم من هذا استخفاف الناس به"[4].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢١) برقم (٥٧) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ". ومسلم في صحيحه (١/ ٧٥) برقم (٥٦) كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة.

(٢) ينظر: دروس للشيخ محمد المختار الشنقيطي (٢٢/ ٨، بترقيم الشاملة آليا). دروس للشيخ محمد المختار الشنقيطي، المؤلف: محمد بن محمد المختار الشنقيطي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٣) ذكره ابن قتيبة في المسائل والأجوبة لابن قتيبة (ص: ٢٩٢) بلفظ: "مَكْسَبَةٌ فيها بَعْضُ الرِّيبَةِ خَيرٌ من مَسْأَلةِ النَّاسِ". المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ)، المحقق: مروان العطية - محسن خرابة، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٤) ينظر: مختصر منهاج القاصدين (ص: ٨٢). مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ، المؤلف: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٩هـ)، قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، الناشر: مكْتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، عام النشر: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.



١٥ رجب

فضل سورة الكهف

يحرص الكثير من الناس على قراءة سورة الكهف يوم الجمعة من كل أسبوع؛ كما أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم، وكما كان يفعل، ويرجع السبب في ذلك إلى فضائل سورة الكهف العديدة، وتُعدُّ سورة الكهف من السور المكِّيَّة في القرآن الكريم، ومن حيث ترتيب المصحف فهي السورة الثامنة عشر، حيث تأتي بعد سورة الإسراء، وتلحقها سورة مريم، ويبلغ عدد آياتها ١١٠ آية، كما أنَّها إحدى السور الخمس التي تبدأ بحمد الله تعالى.

قال أحد السلف:" إذا أردتَ أن يُكلِّمَكَ اللهُ فعليك بقراءة القرآن، وإذا أردتَ أن تُكلِّم اللهَ فعليك بالدعاء، وإذا أردتَ أن تُكلِّم اللهَ ويُكلِّمَكَ فعليك بالصلاة"(١)، وكان الحسن يقول: روي أنَّ عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال:" أيها الناس؛ اقرأوا القرآن، وابتغوا ما عند الله عز وجل بقراءته، مِن قبل أن يقرأَه قومٌ يبتغون به ما عند الناس"(٢).

فقراءة القرآن الكريم لها فضل كبير على المسلم، وقد خصَّ الله بعض السور والآيات بمزيد من الفضل، وخصوصًا إذا قُرئت في وقت مُعيَّن، فقراءة سورة الكهف كل يوم جمعة تقي من فتنة المسيح الدجال، حيث قال ﷺ:" مَن حفِظ عشر آيات من أول سورة الكهف وتدبَّرها؛ عُصم من الدجال" رواه مسلم(٣)، أي: حفِظه الله ووقاه من فتنة الدجال؛ الذي يخرج في آخر الزمان ويدَّعي الألوهية.

وسورة الكهف نورٌ لمن يقرأها؛ عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" مَنْ قرأَ سورةَ الكهفِ كما أُنْزِلَتْ كانَتْ لهُ نُورًا يومَ القيامةِ، من مَقَامِهِ إلى مكةَ، ومَنْ قرأَ عشرَ آياتٍ من آخِرِها ثُمَّ خرجَ الدَّجَّالُ لمْ يَضُرَّهُ" رواه الألباني في السلسلة الصحيحة(٤).

والنور المذكور قد يكون نورًا معنويًّا؛ والمعنى أنَّ مَن قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة كان ذلك مانعًا له من المعاصي، هاديًا إلى الصواب ما بين الجمعتين، كما أنَّ النور يُستضاء به، وقد يكون نورًا حسيًّا؛ بمعنى أنَّه يسطع له نورٌ مِن تحت قدمه بحيث يكون ظاهرًا على وجهه يوم القيامة، وفي الدنيا يكون على وجهه أيضًا نورٌ وبهاء.

---

(١) لم أقف على قائله.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٢٥) برقم (٣٠٠٠٣).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٥) برقم (٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي.

(٤) ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٣١٢).

وتُستحبُّ قراءة سورة الكهف كلَّ يوم جُمعة، فقد كان الصحابيُّ الجليل عبد الله بن عمر- رضي الله عنه- يقرأها؛ لِما لها من الثواب والأجر الكبير، إلَّا أنَّ أغلب الأحاديث التي وردت في بيان فَضل قراءتها ضعيفة الإسناد، ولكن يؤخذ بها في فضائل الأعمال، كما أنَّها يُقوِّي بعضُها بعضًا، ولذلك فإنَّ قراءة سورة الكهف يوم الجمعة سُنَّة.

وسورة الكهف تحمي وتحفظ قارئها من فتنة المسيح الدجال، وذلك بحفظه لأوَّل عشر آياتٍ منها، وقد ورد عن أبي الدرداء- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" مَن حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِن أوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ" رواه مسلمٌ(١). وما أخرجه مُسلمٌ أيضًا في صحيحه بحديثٍ طويلٍ يتعلَّق بالدجَّال:" فمَن أَدْرَكَهُ مِنكُمْ فَلْيَقْرَأْ عليه فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ"(٢)، وقيل: إنَّها آخر عشر آياتٍ من سورة الكهف، كما ورد في الرواية التي أخرجها ابن حبَّان:" مَن قرَأ عَشْرَ آياتٍ من آخِرِ الكهفِ عُصِم مِن الدَّجَّالِ"(٣).

كما تؤكِّد سورة الكهف أنَّ الله مع مَن آمن به، والتزم طاعته، وصار على نهجه، يدافع عنه بطرقٍ ربما يصعب على العقل البشري إدراكها، ويظهر لنا هذا بوضوح في قصة أصحاب الكهف، هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم، وخرجوا من بلادهم ليحافظوا على دينهم، ولجأوا إلى كهف في الجبل، ليمكثوا فيه حتى يأتي الصبح، فألقى الله عليهم النوم ثلاثمائة وتسع سنين، ثم بعثهم الله بعد تلك المدَّة الطويلة ليكونوا آية تشهد على قدرة الله وعظمته وحفْظه للمؤمنين.

وأيضًا سورة الكهف تُؤكِّد أنَّ الشرَّ والخير فتنة، وأنَّ الابتلاء كما يكون بالنقم والبلايا يكون أيضًا بالنعم والعطايا، قال تعالى:﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾(٤)، وهذا الملمح

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٥) برقم (٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٥٠) برقم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٣/ ٦٦) برقم (٧٨٦) كتاب الرقائق، ذكر البيان بأن الآي التي يعتصم المرء بقراءتها من الدجال هي آخر سورة الكهف. وصححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ١٨٣). التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(٤) الأنبياء: ٣٥.



نتعلَّمه من سورة الكهف من خلال صاحب الجنتين، الذي كان من الأغنياء؛ ومع ذلك بدلًا من أن يشكر الله على هذه النعمة كفر، فأخذها الله منه.

وسورة الكهف تُعلِّمنا أنَّ فوق كلِّ ذي علمٍ عليم، وأنَّ المعرفة دائمًا نسبيَّة، وأنَّ الإنسان مهما بلغ من العلم؛ فعلمه قليل، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١]، وأنَّ الإنسان مهما أوتي من المعرفة؛ فهناك مَن هو أكثر معرفة وعلمًا ودراية منه، قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٢]، وهذا الملمح نتعلَّمه من سورة الكهف من خلال قصة سيدنا موسى- عليه السلام- مع الخضر، وما جرى من الأمور الغيبية التي أطلع الله عليها ذلك العبد الصالح، ولم يُحِطْ بها علمًا نبي الله موسى- عليه السلام-، حتى أعلمه بها ذلك العبد الصالح.

أمَّا عن وقت قراءة سورة الكهف يوم الجُمعة فلم تُحدَّدْ بزمنٍ، إنَّما تكون في أي وقتٍ من يوم الجمعة، سواءً أوَّل اليوم، أو آخره، أو أوسطه، دون تحديد أي مكانٍ، فتصحُّ في المسجد، أو في الطريق إليه، وغير ذلك من المواضع، ويُعرَف اليوم في الاصطلاح الشرعي ويُقدَّر من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وقال بعض العلماء: إنَّ قراءة الكهف تكون من وقت غروب الشمس في يوم الخميس حتى غروب شمس يوم الجمعة، حيث أضاف المناوي: يندب قراءتها يوم الجمعة، وكذا ليلتها كما نص عليه الشافعي[٣].

وأكَّد العلماء على أنَّ قراءتها مُستحبَّة للمسلم لما ذُكر من فضلها في الأحاديث الشريفة.

والخلاصة: سُئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- عن قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة وليلتها؛ أهو عملٌ مندوبٌ؟ فأجاب: قراءة سورة الكهف يوم الجمعة عملٌ مندوبٌ إليه، وفيه فضلٌ، ولا فرق في ذلك بين أن يقرأها الإنسان من المصحف، أو عن ظهر قلب، واليوم الشرعي من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وعلى هذا فإذا قرأها الإنسان بعد صلاة الجمعة أدرك الأجر، بخلاف الغسل يوم الجمعة، لأنَّ الغسل يكون قبل الصلاة لأنَّه اغتسالٌ لها فيكون مُقدَّمًا عليها[٤].

---

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) يوسف: ٧٦.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٤٣٦). التيسير بشرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٤) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٥/ ٢، بترقيم الشاملة آليا). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، [الكتاب مرقم آليا].

وقد حاول الشاعر أن يجمع بعضًا من الدروس المستفادة من سورة الكهف فقال:

الكهــفُ مَنجَــاةٌ وفيــه الــزادُ ... مِـنْ فِتْيَـةٍ هَرَبُـوا؛ لِكَـيْ يَـرْتَادُوا
وَذَوَا الجِنَــانِ تَجَــادَلَا أَنْ رُبَّمَــا ... يُجْنَى مِـنَ البُسـتَانِ مَـا يُعْتَـادُ لَا
وَالمَــالُ زِينَــةُ رَبِّــهِ، وَكَــذَا ابْنُــهُ ... تَشْــغَلَنَّكَ زِينَــةٌ وَوِلَادُ
إِبْلِـيسُ يَأْبَى أَنْ يُبِيتَـكَ مُؤْمِنًـا ... فَالنَّـارُ خِلْقَتُـهُ وَأَنْـتَ رَمَـادُ
هَــذَا كَلِـيمُ اللهِ يَطْلُـبُ عَالِمًـا ... عَبْـدًا تَعَلَّـمَ مِـنْ لَدُنْـهُ عِبَـادُ
وَأَخُـوهُ ذُو القَـرْنَينِ يَبْلُـغُ مَغْـرِبًا ... وَالشَّـرْقَ، يَعْـدِلُ حُكْمَـهُ أَوْتَادُ
السَّـدُّ يَبْنِيــهِ الحَدِيــدَ بِقَطْــرِهِ ... وَيَمُوجُ كلُّ النَّاسِ حَيْثُ مِدَادُ إِنَّ
يَا قَارِئِينَ الكَهْفَ صَلُّـوا تَسْعَدُوا ... الصَّـلاةَ عَلَى الحَبِيبِ عِمَادُ[1]

---

(١) الأبيات للشاعر محمد حجاج من قصيدة بعنوان أنوار الكهف. ينظر موقع الألوكة:



١٦ رجب

فضل آية الكرسي

آية الكرسي سيدة آي القرآن الكريم، وهي أعظم آية في القرآن،وهي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيرها: هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلُّها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها، وجعْلِها وِردًا للإنسان في أوقاته صباحًا ومساءً، وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات، فأخبر تعالى عن نفسه الكريمة بأن {لا إله إلا هو} أي: لا معبود بحقٍّ سواه، فهو الإله الحقُّ الذي تتعيَّن أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتألُّه له تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، ولكون العبد مُستحِقًّا أن يكون عبدًا لربه، مُمتثِلًا أوامره، مُجتنِبًا نواهيه، وكلُّ ما سوى الله تعالى باطلٌ، فعبادة ما سواه باطلة، لكون ما سوى الله مخلوقًا ناقصًا، مُدبَّرًا فقيرًا من جميع الوجوه، فلم يستحق شيئًا من أنواع العبادة، وقوله:{ الحي القيوم} هذان الاسمان الكريمان يدلَّان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مُطابَقة وتضمُّنًا ولزومًا، فالحيُّ مَن له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مُستلزِمٌ لجميع الأفعال التي اتَّصف بها ربُّ العالمين، مِن فعله ما يشاء مِن الاستواء والنزول، والكلام والقول، والخلق والرزق، والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كلُّ ذلك داخلٌ في قيوميَّة الباري، ولهذا قال بعض المحقِّقين: إنَّهما الاسم الأعظم؛ الذي إذا دُعِي الله به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى، ومن تمام حياته وقيوميَّته أن { لا تأخذه سِنَة ولا نوم}، والسِّنة النُّعاس { له ما في السماوات وما في الأرض} أي: هو المالك، وما سواه مملوك، وهو الخالق الرازق المدبِّر، وغيره مخلوقٌ مرزوقٌ مُدبَّرٌ لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، فلهذا قال:{ مَن ذا الذي يشفع عنده إلَّا بإذنه} أي: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه، فالشفاعة كلُّها لله تعالى، ولكنَّه تعالى إذا أراد أن

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

يرحم مَن يشاء مِن عباده؛ أذِن لمِن أراد أن يُكرمه مِن عباده أن يشفع فيه، لا يبتدئ الشافعُ قبل الإذن، ثم قال:{ يعلم ما بين أيديهم} أي: ما مضى مِن جميع الأمور، { وما خلفهم} أي: ما يستقبل منها، فعلْمُه تعالى مُحيطٌ بتفاصيل الأمور، مُتقدِّمها ومُتأخِّرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم مِن الأمر شيء، ولا من العلم مثقال ذرة إلَّا ما علَّمهم تعالى، ولهذا قال:{ ولا يحيطون بشيءٍ مِن علمه إلَّا بما شاء وسِع كرسيُّه السماوات والأرض}، وهذا يدلُّ على كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي- أنَّه يسع السماوات والأرض على عظمتهما وعظمة مَن فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلَّا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تتحيَّر الأفكار وتكلُّ الأبصار، وتُقلقَل الجبال، وتكعُّ عنها فحول الرجال- فكيف بعظمة خالقها ومُبدِعها، والذي أودع فيها من الحِكَم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب، فلهذا قال:{ ولا يؤوده} أي: لا يُثقله{ حفظهما وهو العليُّ} بذاته فوق عرشه، العليُّ بقهره لجميع المخلوقات، العليُّ بقدره لكمال صفاته،{ العظيم} الذي يتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان مَن له العظمة العظيمة، والكبرياء الجسيمة، والقهر والغلبة لكلِّ شيءٍ، فقد اشتملت هذه الآية على توحيد الإلهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة ملكه، وإحاطة علمه، وسعة سلطانه، وجلاله ومجده، وعظمته وكبريائه، وعلوِّه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، متضمِّنة لجميع الأسماء الحُسنى، والصفات العُلا(١).

ودلَّت السنة النبوية على فضل قراءة آية الكرسي دبر الصلاة، فروى أبو أمامة الباهلي- رضي الله عنه- عن رَسُول اللَّهِ ﷺ أنَّه قال:" مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ" رواه النسائي(٢).

كذلك إذا داوم الإنسان على قراءة آية الكرسي في كلِّ ليلةٍ قبل النوم؛ فإنَّها تحميه من الشيطان الرجيم، كما أنَّه إذا تُوفِّيَ في هذه الليلة دخل الجنة.

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١١١).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٤٤) برقم (٩٨٤٨) كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١١٠٣). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.



والدليل على ذلك ما ورد إلينا عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّه قال:" وكَّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذتُه وقلتُ: واللهِ لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ، قال: إنِّي مُحتاجٌ، وعليَّ عيالٌ، ولي حاجة شديدة، قال: فخليتُ عنه فأصبحتُ، فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة؛ ما فعل أسيرُك البارحة؟ قال: قلتُ: يا رسول الله؛ شكا حاجةً شديدةً، وعيالًا فرحمتُه، فخليتُ سبيله، قال: أما إنَّه قد كذبك وسيعود، فعلمتُ أنَّه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنَّه سيعود، فرصدتُه، فجاء يحثو من الطعام، فأخذتُه فقلتُ: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني؛ فإنِّي مُحتاجٌ، وعليَّ عيالٌ، لا أعود. فرحمتُه فخليتُ سبيله فأصبحتُ، فقال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة؛ ما فعل أسيرُك؟ قلتُ: يا رسول الله؛ شكا حاجةً شديدةً، وعيالًا فرحمتُه فخليتُ سبيله، قال: أما إنَّه قد كذبك وسيعود. فرصدتُه الثالثة، فجاء يحثو مِن الطعام فأخذتُه فقلتُ: لأرفعنَّك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرَّاتٍ أنَّك تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعني أعلِّمك كلمات ينفعك الله بها، قلتُ: ما هي؟ قال: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتَّى تختم الآية، فإنَّك لن يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يَقربنَّك شيطانٌ حتَّى تُصبح. فخليتُ سبيله فأصبحتُ، فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرُك البارحة؟ قلتُ: يا رسول الله؛ زعم أنَّه يُعلِّمني كلماتٍ ينفعني الله بها فخلَّيتُ سبيله. قال: ما هي؟ قلتُ: قال لي: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أوَّلها حتَّى تختم الآية: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وقال لي: لن يزال عليك مِن الله حافظٌ، ولا يقربك شيطانٌ حتَّى تُصبح. وكانوا أحرص شيءٍ على الخير، فقال النبي ﷺ: أما إنَّه قد صدقك وهو كذوب! تعلم مَن تُخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟ قلتُ: لا، قال: ذاك الشيطان" رواه البخاري(١).

الخلاصة: آية الكرسي مِن الآيات التي إذا قام الإنسان بقراءتها فهي بإذن الله تكون كافية وشافية من كل داء، وهي ذات حصن حصين من كلِّ سوءٍ وشرٍ، فإنَّ آية الكرسي من الآيات التي تكون حصنًا من السحر، وحصنًا من المسِّ والعين. ومَن قام بالحفاظ على قراءتها فإنَّه يكون في حفْظ الله سبحانه وتعالى، فإذا مسه ضرٌّ أو أصابه داء وقام بقراءتها شُفِيَ من كلِّ ما فيه. فآية الكرسي من الآيات التي جعلها الله عز وجل حرزًا من الشياطين والجن، والسحرة والمشعوذين الدجَّالين، فمَن يقوم بقراءتها عندما يصبح فقد حفظه الله من كلِّ سوءٍ وشرٍّ حتَّى يُمسي، ومَن يقرأها حين يُمسي فقد حفظه الله عز وجل من كلِّ سوءٍ وشرٍّ حتَّى يُصبح.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٠١) برقم (٢٣١١) كتاب الوكالة باب إذا وكل رجلا، فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز.

١٧ رجب

فضل سورة الفاتحة

سورة الفاتحة هي سورة مكِّيَّة، نزلت في مكَّة المكرمة استنادًا لقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾(١). والمقصود بالسبع المثاني أي سورة الفاتحة، وعدد آياتها سبع آيات إجماعًا، ولكن هناك عددًا من العلماء والمفسِّرين لم يَعُدُّوا البسملة آيةً من آيات سورة الفاتحة، واعتبروا قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾(٢)، آيتين منفصلتين؛ تنتهي الأولى عند لفظ عليهم، وتبدأ الثانية عند لفظ غير، وبذلك تكون السورة سبع آيات من دون البسملة، كما قال العديد من أهل العلم أنَّ سورة الفاتحة من أوائل ما نزل من القرآن الكريم في مكة المكرمة حين فُرضت الصلاة، وقيل: نزلت مرَّة أخرى في المدينة المنوَّرة عند تحويل القبلة، وهي أوَّل سورة في ترتيب سور القرآن الكريم، ولا شكَّ في أنَّ افتتاح الكتاب العزيز بهذه السورة برهانٌ على فضلها ومكانتها ورفعة قدرها، وهي ركنٌ من أركان الصلاة، لا تصحُّ الصلاة إلَّا بها؛ فلقد روى البخاري ومسلم عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ"(٣)، وهي أفضل وأعظم سورةٍ وردت في القرآن الكريم، وذلك مصداقًا لقول رسول الله ﷺ:" لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هي أعْظَمُ سُورَةٍ في القُرْآنِ، قالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ، هي السَّبْعُ المَثانِي، والقُرْآنُ العَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ" رواه البخاري(٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: فَقَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا" رواه الترمذي(٥).

---

(١) الحجر: ٨٧.

(٢) الفاتحة: ٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٥١) برقم (٧٥٦) كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٩٥) برقم (٣٩٤) كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٧) برقم (٤٤٧٤) كتاب تفسير القرآن باب ما جاء في فاتحة الكتاب.

(٥) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ٣١١) برقم (٨٦٨٢). والترمذي في جامعه (٥/ ١٥٥) برقم (٢٨٧٥) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٨) برقم (١١١٤١) كتاب التفسير، قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول} [الأنفال: ٢٤]. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٣٧٥).



وسورة الفاتحة رقيةٌ للمريض، وفيها شفاءٌ للناس، ودليل ذلك إقرار النبي ﷺ لجماعةٍ من الصحابة الرقية بالفاتحة، إلَّا أنَّ الرقية بها لا تنفع إلَّا بتحقُّق عددٍ من الشروط الواجب أخْذُها بعين الاعتبار، ودليل ما سبق ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّه قال:" أنَّ نَاسًا مِن أصْحَابِ النبيِّ ﷺ أتَوْا علَى حَيٍّ مِن أحْيَاءِ العَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبيْنَما هُمْ كَذلكَ؛ إذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ، فَقالوا: هلْ معكُمْ مِن دَوَاءٍ أوْ رَاقٍ؟ فَقالوا: إنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، ولَا نَفْعَلُ حتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لهمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بأُمِّ القُرْآنِ"[١].

قال ابن القيم- رحمه الله-: فأمَّا اشتمالها على شفاء القلوب؛ فإنَّها اشتملت عليه أتمَّ اشتمال، فإنَّ مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم، وفساد القصد، ويترتَّب عليهما داءان قاتلان؛ وهما الضلال والغضب، فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد، وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعها، فهداية الصراط المستقيم تتضمَّن الشفاء من مرض الضلال، ولذلك كان سؤال هذه الهداية أفرض دعاء على كلِّ عبدٍ وأوجبه عليه كلَّ يومٍ وليلةٍ في كلِّ صلاةٍ، لشدَّة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة، ولا يقوم غير هذا السؤال مقامه[٢].

كذلك من فضائلها أنَّها تُعين على قضاء حوائج الناس، فعندما تقرأ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[٣]؛ فإنَّك استعنتَ بالله- عز وجل- في قضاء حاجتك، وهذا شاهدٌ على الاستعانة بالله في قضاء الحوائج؛ إذ يقول للشيء: كن فيكون. كما أنَّ تلاوة هذه السورة تُعين العباد على تسيير شتى أمورهم وتحلُّها بإذن الله تعالى، فإذا قمتَ بقراءة هذه السورة بتدبُّر؛ ستجد حقًّا صفات الله وتدابيره، وقراءة هذه السورة تُؤدِّي إلى القضاء بالعدل عند الوقوف مع أي خصم.

كذلك لسورة الفاتحة فضل عظيم في استجابة الدعاء، من خلال التدبُّر والتفكُّر في دلالات ومعاني قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٤]، والذي يدلُّ على أنَّ التوجُّه إلى الله بإخلاص وصدق، والتوسُّل إليه وسؤاله سبحانه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣١) برقم (٥٧٣٦) كتاب الطب باب الرقى بفاتحة الكتاب. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٢٧) برقم (٢٢٠١) كتاب السلام باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٧٦). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

(٣) الفاتحة: ٥.

(٤) الفاتحة: ٦- ٧.

الهداية للصراط المستقيم، وهو دليلٌ على استجابة الله للدعاء، ورضا ربِّ العالمين عن الناس، واستجابة دعائهم بدخول الجنة والإقامة فيها بنعيم.

ولفضل سورة الفاتحة في تحقيق المناجاة مع الله؛ فرَض الله على كلِّ مسلمٍ قراءة سورة الفاتحة في كلِّ ركعةٍ يُؤدِّيها، وجُعِلتْ رُكنًا من أركان الصلاة؛ لا تُقبَل الصلاة إلَّا بها، يُكرِّرُها العبد على الأقل سبعة عشرة مرَّة كلَّ يومٍ، وذلك مصداقًا لقول رسول اللهِ ﷺ:" كلُّ صلاةٍ لَا يُقرَأُ فيها بفاتحةِ الكِتابِ فهي خِداجٌ، كلُّ صَلاةٍ لَا يُقرَأُ فيها بفاتحةِ الكِتابِ فهي خِداجٌ، كلُّ صلاةٍ لَا يُقرَأُ فيها بفاتحةِ الكِتابِ فهي خداجٌ" رواه ابن حبَّان[١]، ويُقصد بلفظ خِداج: الفساد.

قال النووي: فيه وجوب قراءة الفاتحة، وأنَّها مُتعيِّنةٌ لا يُجزي غيرُها إلَّا لعاجزٍ عنها، وهذا مذهب مالك والشافعي وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم[٢].

كما أنَّ قراءة سورة الفاتحة في الصلاة تتحقَّق فيها المناجاة بين العبد وربِّه، فإذا قال العبد:" الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"؛ قال الله:" حَمَدَنِي عبدي"، وحين يقول العبد:" الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ"؛ يأتيه الجواب مِن الله: أن" أثنى عليَّ عبدي"، وأثنى: أي كرَّر الحمد مرَّةً ثانيةً، فالحمد وصفٌ بالكمال والإفضال، مع المحبَّة والتعظيم. وبقول:" مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"؛ يقول الله:" مجَّدني عبدي"، ممَّا يدلُّ على العظمة والمِلْك، وحين يقرأ العبد:" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"؛ يقول الله تعالى:" هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل" رواه مسلم[٣].

وسُمِّيتْ سورة الفاتحة بأمِّ القرآن وأمِّ الكتاب لأنَّها تشتمل على معاني القرآن بشكلٍ عامٍّ، فيما يتعلَّق بالتوحيد والأحكام، وفي العادة يُقال: إنَّ للشيء أُمًّا إن كان له مرجِعٌ يرجع إليه، وعلامةً تُقصد ويُتجَّه إليها.

والخلاصة: أنَّ سورة الفاتحة تشتمل على أفضل الدعاء؛ بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم، كما أنَّها تشتمل على آداب الدعاء؛ بالحمد أوَّلًا، ثمَّ الثناء، ثمَّ التمجيد، وإفراد العبودية لله، والاستعانة به دون سواه، قال رسول الله ﷺ:" إذا صلَّى أحدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ، ثُمَّ لْيُصَلِّ على النبيِّ ﷺ ثُمَّ لْيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ" رواه الترمذي[٤].

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٥/ ٨٩) برقم (١٧٨٨). والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣/ ٢٩٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (٤/ ١٠٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٩٦) برقم (٣٩٥) كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٣٦٣) برقم (٢٣٩٣٧). والترمذي في جامعه (٥/ ٥١٧) برقم (٣٤٧٧) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٤٧٧).

فالسورة على قصرها تشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبيَّة، وتوحيد الألوهيَّة، وتوحيد الأسماء والصفات.

قال الشاعر:

فَضْـــلًا إلهـــي خَصَّنـــا سُبْحانَـــهُ بِـــالفَاتِحَهْ
سَبْعُ المَثَانِي سُوْرَةٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فَاتِحَهْ حَمْدًا
عَلَى نَعْمَائِهِ قَدْ أوْجَبَتْ مَدَائِحَهْ بِهَا الكُنُوزُ
تُغْتَنَمْ هِيَ التِّجَارَةْ الرَّابِحَهْ أنْتَ الرَّحِيمُ رَحْمَتَكْ
عَلَى العِبَادِ سَابِحَهْ يَا مَالِكًا يَوْمَ اللِّقَاءِ اهْدِ
القُلُوبَ الجَانِحَهْ العَابِدِينَ اللهَ هُمْ أهْلُ الفِعَالِ
الرَّاجِحَهْ إيَّاكَ نَسْتَعِينُ كَي تَخْفَى اللَّيَالِي
الكَالِحَهْ ربِّ اهْدِنَا نَهْجَ الصِّرَاطِ امْنَحْ فِعَالًا
صَالِحَهْ حِرْزٌ مِنَ الآلَامِ تُتْلَى لِلشِّفَاءِ مَانِحَهْ(١)

---

(١) الأبيات للشاعر عطا سليمان رموني. ينظر:
.https://www.palestineremembered.com/GeoPoints/Rammun_6775/Article_20196.html

١٨ رجب

فضل سورة الإخلاص

سورة الإخلاص سورة مكِّيَّة، عدد آياتها أربع آيات، وترتيبها في المصحف ١١٢ في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، وهي تعدل ثلث القرآن، وتُعدُّ سورة الإخلاص من السور المميَّزة، حيث تميَّزت بأنَّها سورةٌ تحمل الكثير من المعاني العظيمة، حيث تدلُّ على التوحيد والإيمان بالله عز وجل، وقد ورد في كتاب" أسباب النزول" للواحدي(١) سببُ نزول سورة الإخلاص، وهو:" أنَّ اليهودَ أتوا النبيَّ ﷺ فقالوا: صِفْ لنا ربَّك الذي تعبدُ. فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ (٢)، فقال: هذه صفةُ ربِّي عزَّ وجلَّ" أخرجه البيهقي بسندٍ حسنٍ(٣).

وقد ورد أنَّ عامر بن الطفيل وأربد بن ربيع هما مَن سألا رسول الله ﷺ: إلى ماذا تدعونا؟ فلمَّا علموا أنَّه يدعوهم إلى الله، ومِن جهلهم به ظنُّوا أنَّه مصنوعٌ من خشبٍ أو ذهبٍ أو غيره كأصنامهم، فنزلتْ سورة الصمد لبيان صفات الله عز وجل، ويجب على المؤمن أن يعتقد ويؤمن بأنَّ الله تعالى هو الفرد الصمد المستحقُّ للعبادة وحدَه.

ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل سورة الإخلاص عن النبي ﷺ قال:" أَيعجِزُ أحدُكم أن يقرأ في ليلةٍ ثُلث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثُلث القرآن؟ قال: قل هو الله أحد؛ تعدل ثلث القرآن" رواه مسلم(٤).

---

(١) ينظر: أسباب النزول (ص: ٤٧١). أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

(٢) الإخلاص: ١- ٤.

(٣) رواه البهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٩) برقم (٦٠٦). والحديث قال عنه الألباني: "منكر"كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١١/ ٣٤٨). الأسماء والصفات للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٦) برقم (٨١١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة قل هو الله أحد.

وفي صحيح البخاريِّ من حديثِ أبي سعيدٍ الخدري- رضي الله عنه- أنَّ رجلًا سمِعَ رجُلًا يقرأُ:" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" يُرِدِّدُها، فلمَّا أصبحَ جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فذكرَ ذلكَ لهُ- وكأنَّ الرجلَ يتقالُّها- فقال رسول اللَّه ﷺ:"والذي نفسِي بيده؛ إنَّها لَتعدلُ ثُلُثَ القرآنِ"[1].

ويُستفاد من الحديثين: أنَّ مَن قرأها فقد نال ثواب قراءة ثلث القرآن، وقد سُئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: يُقال: إنَّ سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، فهل صحيح هذا؟ وأنَّ مَن يقرأها ثلاث مرَّاتٍ كأنَّه قرأ القرآن كلَّه؟ فأجاب فضيلته: صحيح أنَّ" قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن، ثبت ذلك عن النبي ﷺ في صحيح البخاري وغيره، ولكن ليس معنى المعادَلة أنَّها تُجزئ عن القرآن، فإنَّ المعادلة قد لا تكون مُجزِئة. وانظر إلى ما ثبت به الحديث عن النبي ﷺ مِن أنَّ قول: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير؛ عشر مرَّاتٍ تعدل عتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل[2]، ومع ذلك لو قال الإنسان هذا الذكر مائة مرَّةٍ لم يُجزِئه عن العتق رقبةً في كفارة. فالمعادَلة- مُعادَلة الشيء بالشيء- لا تقتضي إجزاء الشيء عن الشيء، فنحن نقول كما قال النبي ﷺ:" إنَّ قل هو الله أحد؛ تعدل ثلث القرآن". لكننا نقول: إنَّ قراءتها لا تُجزئ عن قراءة القرآن، بل لا بُدَّ من هذا وهذا. ولذلك لو أنَّ الإنسان قرأها في صلاته ثلاث مرَّاتٍ ولم يقرأ الفاتحة ما صحَّت صلاته، ولو كانت تُجزئ عن القرآن لقلنا: إنَّك إذا قرأتَها ثلاث مرَّاتٍ في الصلاة أجزأتَك عن الفاتحة، ولا قائل بذلك من أهل العلم[3].

وعن أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-:" أنَّ النّبي ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ" قل هو الله أحد"، فلمَّا رجعوا ذكروا ذلك للنَّبي ﷺ، فقال: سلوه لأيِّ شيءٍ يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنَّها صفة الرَّحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها، فقال النَّبي ﷺ: أخبروه أنَّ الله يُحبُّه" رواه البخاري[4].

والمستفاد من الحديث: أنَّ مَن أحبَّ سورة الإخلاص وقرأها؛ نال محبَّة الله.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٨٩) برقم (٥٠١٣) كتاب فضائل القرآن باب فضل قل هو الله أحد.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧١) برقم (٢٦٩٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٣) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٥/ ٢، بترقيم الشاملة آليا).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١١٥) برقم (٧٣٧٥) كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥٧) برقم (٨١٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة قل هو الله أحد.

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أنَّ رجلًا من الأنصار كان يَؤمُّ المصلِّين في مسجد قباء، وكان في كلِّ ركعةٍ يفتتح قراءته بـ" قل هو الله أحد"، ثم يقرأ بعدها سورة أخرى، فطلب منه أصحابه أن يدع ذلك فأبى، فنقلوا فِعْلَه هذا إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا فلان؛ ما يمنعك أن تفعل ما يأمُرُك به أصحابُك؟ وما يَحملُك على لزوم هذه السورة في كلِّ ركعة؟ فقال: إنِّي أحبُّها، فقال: حُبُّك إيَّاها أدخلكَ الجنَّة" رواه البخاري(١).

ويُستفاد من الحديث: أنَّ حُبَّ سورة الإخلاص وقراءتها سببٌ من أسباب دخول الجنَّة.

ومِن فضائلها: أنَّ قراءَتَها تكفِي مِنَ الشرِّ وتمنعهُ، وقد ثبتَ في صحيح البخاريِّ عنْ عائشةَ- رضي الله عنها- أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذَا أوَى إلى فِراشِهِ قرأَها مع المعوِّذتينِ، ومَسَحَ ما استطاعَ مِنَ جسدِهِ(٢).

ومِن فضائلها: أنَّها تضمَّنت الردَّ على اليهود والنصارى والمشركين، وهي حُجَّة الله على خلقه، حتى قال السيوطي في الإكليل: فيها الردُّ على اليهود والنصارى، والمجوس والمشركين، والمجسِّمة والمشبِّهة، والحلولية والاتحادية، وجميع الأديان الباطلة(٣)، ويدلُّ على هذا ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ عن ربِّه قال:" كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ"(٤).

ومن فضائلها كذلك: أنَّه يُبنَى لقارئها بيتٌ في الجنة: فعَنْ سَهْلِ بنِ مُعَاذِ بن أَنَسٍ الجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عن جدِّه- رضي الله عنه- عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ قَرَأَ:" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ بنى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ- رضي الله عنه-: إِذَنْ نَسْتَكْثِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" اللَّهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ" رواه أحمد(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا مجزومًا به (١/ ١٥٥) كتاب الأذان باب الجمع بين السورتين في الركعة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٩٠) برقم (٥٠١٧) كتاب فضائل القرآن باب فضل المعوذات.

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل (ص: ٣٠٢). الإكليل في استنباط التنزيل، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٨٠) برقم (٤٩٧٤) كتاب تفسير القرآن باب قوله: (وامرأته حمالة الحطب).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٣٧٦) برقم (١٥٦١٠). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ١٣٦).



ومنْ فضائلهَا: أنَّ الدعاءَ بها مُستجابٌ، ففي السنن الأربعةِ عنْ عبدِ اللَّهِ بنِ بريدةَ عنْ أبيهِ- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ سَمِعَ رجلًا يُصلِّي يَدْعُو يقولُ:" اللهُمَّ إِنِّي أسأَلُك بأَنِّي أشهَدُ أن لا إله إلَّا أنتَ، الأحَدُ الصّمدُ، الذي لمْ يلدْ ولم يُولدْ، ولم يكن له كفوًا أحدٌ، قالَ: والذي نفْسي بيدِهِ؛ لقدْ سألَهُ باسمِهِ الأعظمِ، الَّذِي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ بِهِ أجابَ"[١].

يقول الإمام الشاطبي- رحمه الله-:

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ | أَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِبًا مُتَفَضِّلَا
وَخَيْرُ جَلِيسٍ لَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ | وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلَا
وَحَيْثُ الْفَتى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ | مِنَ الْقَبرِ يَلْقَاهُ سَنًا مُتَهَلِّلَا
يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لحبِيبِهِ | وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلًا إِلَيْهِ مُوَصَّلَا
فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكًا | مُجِلًّا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلَا
هَنِيئًا مَرِيئًا وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا | مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلَا[٢]

وختامًا؛ مِن فضل سورة الاخلاص أنَّها تُعدُّ حافظةً للشخص الذي حافظ على قراءتها أطراف النهار وآناء الليل. فقد كان رسول الله ﷺ مُحافِظًا على قراءتها في جميع أوقاته؛ لعظم مكانتها، فاحرصوا أنتم أيضًا أيها المسلمون على قراءتها.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٤٥) برقم (٢٢٩٥٢). وأبو داود في سننه (٢/ ٧٩) برقم (١٤٩٣) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٥١٥) برقم (٣٤٧٥) أبواب الدعوات باب جامع الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٥١) برقم (١١٦٥٢) كتاب التفسير، سورة الإخلاص. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٦٧) برقم (٣٨٥٧) كتاب الدعاء باب اسم الله الأعظم. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ٤٩٣).

(٢) متن الشاطبية (ص: ٢). متن الشاطبية = حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، المؤلف: القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (المتوفى: ٥٩٠هـ)، المحقق: محمد تميم الزعبي، الناشر: مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٩ رجب
صلاة الضحى

صلاة الضحى تُعدُّ إحدى الوصايا النبوية الثلاث، التي حثَّ عليها رسول الله ﷺ، وشدَّد على ضرورة اغتنامها للفوز بثوابها العظيم، كما أنَّها مِن النوافل التي حرص رسول الله ﷺ على المداومة عليها، بل وحثَّ عليها الصحابة- رضوان الله تعالى عنهم-، وصلاة الضحى هي نفسها صلاة الشروق، ولكنها تُسمَّى صلاة الشروق إن صُلِّيَتْ بعد شروق الشمس وارتفاعها قدر رمح، وتُسمَّى صلاة الضحى إن كانت بعد ذلك الوقت، وتُسمَّى أيضًا: صلاة الأوَّابين.

قال الدهلوي: وسرُّها أنَّ الحكمة الإلهية اقتضت ألَّا يخلو كلُّ ربعٍ من أرباع النهار من صلاة؛ تذكر له ما ذهل عنه من ذكر الله، لأنَّ الربع ثلاث ساعات، وهي أوَّل كثرة للمقدار المستعمَل عندهم في أجزاء النهار عربهم وعجمهم، ولذلك كان الضحى سُنَّة الصالحين قبل النبي ﷺ، وأيضًا فأوَّل النهار وقت ابتغاء الرزق والسعي في المعيشة، فسنَّ في ذلك الوقت صلاة لتكون ترياقًا لسُمِّ الغفلة الطارئة فيه(١).

وقال الإمام المناوي: وإنَّما أضاف الصلاة في هذا الوقت إلى الأوَّابين؛ لأنَّ النفس تركن فيه إلى الدعة والاستراحة، فصرْفُها إلى الطاعة والاشتغال فيه بالصلاة رجوعٌ من مراد النفس إلى مرضاة الربِّ(٢)، وهي صلاة تُؤدَّى بعد ارتفاع الشمس قيد رمح، وقيل: بعد مُضي ربع النهار.

وصلاة الضحى أحد أنواع صلاة النفل، وحكمها مُستحبَّة، وهذا باتفاقِ المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابِلة، وأقلُّها ركعتان، وأوسطها أربع ركعات، وأفضلها ثماني ركعات، وأكثرها اثنتا عشرة ركعة.

والأَدلَّة مِنَ السنَّة: عن أبي ذرٍّ- رَضِيَ اللهُ عنه- عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قال:" يُصبِحُ على كلِّ سُلَامَى من أحدِكم صَدَقَةٌ؛ فكلُّ تَحميدةٍ صدقةٌ، وكلُّ تهليلةٍ صدقةٌ، وأمْرٌ بالمعروفِ صَدقةٌ، ونهيٌ عن المنكَرِ صدقةٌ، ويُجزِئُ عن ذلك ركعتانِ يَركعُهما من الضُّحَى" رواه مسلم(٣).

---

(١) حجة الله البالغة (٢/ ٢٩). حجة الله البالغة، المؤلف: أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ «الشاه ولي الله الدهلوي» (المتوفى: ١١٧٦هـ)، المحقق: السيد سابق، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

(٢) فيض القدير (٤/ ٢١٦). فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٩٨) برقم (٧٢٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات، أو ست، والحث على المحافظة عليها.



وعن أبي الدَّرداءِ- رَضِيَ اللهُ عنه- قال:" أَوْصاني حبيبي بثلاثٍ لنْ أَدَعهنَّ ما عشتُ: بصيامِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ، وصلاةِ الضُّحى، وأنْ لا أنامَ حتى أُوتِرَ" رواه مسلم(١).

وقتُها: يبدأُ من ارتفاع الشمسِ قِيد رمح بعد طلوعِها إلى استواءِ الشمس قبل زوالها؛ نصَّ على هذا الحنفية، والمالِكية، والحَنابِلَة، وبه قال الشافعيةُ في أحد الوَجهين؛ فعن عَمرِو بنِ عَبسةَ- رَضِيَ اللهُ عنه- قال:" قدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ، فقدِمْتُ المدينةَ، فدخلتُ عليه، فقلتُ: أخبِرْني عن الصلاةِ، فقال: صلِّ صلاةَ الصُّبحِ، ثم أَقصِرْ عن الصَّلاةِ حين تطلُعُ الشمسُ حتى ترتفعَ؛ فإنَّها تطلُع حين تطلُع بين قرنيَ شيطانٍ، وحينئذٍ يَسجُد لها الكفَّارُ، ثم صلِّ؛ فإنَّ الصلاةَ مشهودةٌ محضورةٌ، حتى يستقلَّ الظلُّ بالرُّمح" رواه مسلم(٢).

وقال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: صلاة الضحى يدخل وقتُها من ارتفاع الشمس قدر رمح، إلى وقوف الشمس قبل الزوال(٣).

وأفضل وقتٍ لصلاةِ الضحى إذا علت الشمس، واشتدَّ حرُّها، وهذا مذهبُ الجمهور: فعن زيدِ بنِ أرقمَ- رضي الله عنه- أنَّه رأى قومًا يُصلُّون من الضُّحى في مسجدِ قُباءٍ، فقال: أمَا لقَدْ علِموا أنَّ الصلاةَ في غيرِ هذه الساعةِ أفضلُ، قال:" خرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ على أهلِ قُباءٍ وهم يُصلُّونَ الضُّحى، فقال: صلاةُ الأوَّابِين إذا رَمِضَتِ الفصالُ من الضُّحَى" رواه مسلم(٤).

أمَّا عن عدد ركعات صلاة الضحى؛ فأقلُّ رَكَعاتها ركعتان، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة؛ فعن أبي هُرَيرَة- رَضِيَ اللهُ عنه- قال:" أَوْصاني خليلي ﷺ بثلاثٍ: صيامِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ، وركعتي الضُّحى، وأنْ أُوتِرَ قبل أنْ أنامَ" رواه البخاري(٥)، ولم يُنقَل أنَّ النبي ﷺ صلَّاها دون الركعتين.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٩٩) برقم (٧٢٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات، أو ست، والحث على المحافظة عليها.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٦٩) برقم (٨٣٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب إسلام عمرو بن عبسة.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (١١/ ٣٩٥). مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥١٥) برقم (٧٤٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال ولفظه: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال» .

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤١) برقم (١٩٨١) كتاب الصوم باب صيام أيام البيض: ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٩٨) برقم (٧٢١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات، أو ست، والحث على المحافظة عليها.



واختلف أهلُ العلم في أكثر صلاة الضحى على أقوال؛ الأوَّل: أنَّ أكثر صلاة الضحى ثماني ركَعات، وهذا مذهبُ الجمهور: المالكية، والشافعية على المعتمَد، والحنابلة، ودليلهم حديثُ أمِّ هانئ- رضي الله عنها-:" أنَّ النبيَّ ﷺ عامَ الفتحِ صلَّى ثمانيَ ركعاتٍ سُبحةَ الضُّحى" رواه مسلم(١)، والقول الثاني: أنه لا حدَّ لأكثر صلاة الضحى، واختارَه ابن جرير الطبري، وابن باز، وابن عُثيمين، ودليلهم عن عائشةَ- رَضِيَ اللهُ عنها- قالت:" كان النبيُّ ﷺ يُصلِّي الضُّحى أربعًا، ويَزيد ما شاءَ اللهُ" رواه مسلم(٢).

وقد علق الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- على هذا الحديث فقال: لا يدلُّ على أنَّ هذا هو أعلاها، هذا وقع اتفاقًا، وما يقع اتفاقًا ليس فيه دليلٌ على الحصر، وعلى هذا فنقول: أقلُّها ركعتانِ ولا حدَّ لأكثرها، صلِّ ما شئتَ، لكن كان النبي ﷺ يُصلِّي أربعًا، وربَّما صلَّى ثمانيًا، فينبغي للإنسان أن يغتنم عمره بصالح الأعمال، لأنَّه سوف يندم إذا جاءه الموت؛ أن أمضى ساعة مِن دهره لا تُقرِّبُه فيها إلى الله عز وجل، كلُّ ساعةٍ تمضي عليك وأنتَ لا تتقرَّب إلى الله بها فهي خسارة، لأنَّها راحت عليك فلم تنتفع بها، فانتهز الفرصة بالصلاة والذكر، وقراءة القرآن، والتعلُّق بالله عز وجل، اجعل قلبك دائمًا مع الله سبحانه وتعالى، ربُّك في السماء وأنتَ في الأرض، لا تغفلْ عن ذكر الله بلسانك، وبفعالك، وبجنانك بالقلب، فإنَّ الدنيا ذاهبةٌ لم تبقَ لأحدٍ(٣).

أمَّا عن كيفية أداء صلاة الضحى؛ فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنَّ طريقة صلاة الضحى؛ أنَّها تُؤدَّى مثنى مثنى؛ والمقصود أن يُسلِّم المصلِّي بعد كلِّ ركعتين، واستدلُّوا بذلك لما جاء في حديث أم هانئ- رضي الله عنها- حيث قالتْ:" يُسلِّمُ من كلِّ ركعتينِ" رواه النووي في المجموع(٤).

والخلاصة: أنَّ لصلاة الضحى فضلًا مثل فضل سائر السنن والنوافل من أجر ومثوبة عظيمة عند الله، كما أنَّها تعدل الصدقة عن ثلاثمائة وستين مفصلًا على الإنسان أن يتصدَّق عنها كلَّ يوم، وقد لا يستطيع الإنسان التصدُّق عن كلِّ مفاصله، لذا فإنَّ في أداء ركعتي الضحى صدقة عنها جميعها،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨٠) برقم (٣٥٧) كتاب الصلاة باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفًا به. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٦٦) برقم (٣٦٦) كتاب الحيض باب تستر المغتسل بثوب ونحوه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٩٧) برقم (٧١٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات، أو ست، والحث على المحافظة عليها.

(٣) شرح رياض الصالحين (٥/ ١٥٣).

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٢٨) برقم (١٢٩٠) كتاب الصلاة باب صلاة الضحى. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ٢٩٠). وينظر: المجموع شرح المهذب (٤/ ٣٩) .



كما قيل في فضلها أيضًا أن أداء أربع ركعات في الضحى تكفي الإنسان وتحميه ممَّا قد يصيبه من مخاطر لا يعلمها، فمُصلِّي الضحى في حِفْظ الله ورعايته، ومن هنا فإنَّ الأجدر بالمسلم المواظبة على صلاة الضحى، لينال الأجر والمثوبة من اتِّباع سُنَّة النبي ﷺ. ومنه يُستنتَج أنَّ مَن لم يُصلِّها لا إثم عليه؛ لأنَّها كغيرها من السنة والنوافل مُستحبَّة الفعل.

٢٠ رجب

فضل التبكير في طلب الرزق

طلبُ الرزق أمرٌ حضَّ عليه الشرع ببذْل الأسباب الموصِّلة إليه، والتوكُّل على الله بعد ذلك، وهذا هو الأصل العام الذي شرعه الله لعباده، أن يطلبوا الشيء بأسبابه الشرعية والحسية، وقد حثَّت الشريعة الغرَّاء الإنسان المسلم على العمل والجدِّ، وأوصت بالابتعاد عن الذُّلِّ والمسألة، كما حضَّ على ذلك العقل، وحضَّت عليه الفطرة السليمة، ولقد جعل الله تعالى للرزق قوانين لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، مَن اتَّبعها نال الرزق منه سبحانه، وأوَّلُ هذه القوانين أنَّ الرزق يحتاج إلى سعيٍ وطلبٍ، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [١]، ففي الآية إشارة واضحة للسعي في طلب الرزق، فالله هو الرازق لكن على الإنسان ألَّا يركن لذلك فيتواكل، بل يأخذ بالأسباب جميعها، ويسعى مُتوكِّلًا على الله وحده، والأصل أنَّ الرزق قائمٌ على الأسباب، فلا يُنال الرزقُ إلَّا بالسعي، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [٢].

قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره: مناكبها: أطرافها وفجاجها ونواحيها[٣]، ولقد ضرب لنا النبي ﷺ مثال السعي؛ على الطيور تخرج قبل شروق الشمس من أعشاشها في الصباح الباكر بحثًا عن رزقها وطعامها دون تلكؤٍ أو كسلٍ، في حديثه الشريف الذي قال فيه:" لو أنَّكم تتوكَّلون على الله حقَّ توكُّله؛ لرزقكم كما يرزق الطيرَ، تغدو خماصًا وتروح بطانًا" رواه الترمذي[٤]، أي تخرج وهي جائعة وبطونها خاوية من الطعام، وتعود وهي شبعى؛ قد ملأت بطونها من رزق الله، ولهذا ممَّا لا شكَّ فيه هناك صلة كبيرة وقوية بين الرزق وبين البكور أي وقت الصباح وأول النهار.

يقول الله سبحانه وتعالى: ويقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[٥]، ويقول: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا

---

(١) الجمعة: ١٠.

(٢) الملك: ١٥.

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ١٨٠). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٣٢) برقم (٢٠٥). والترمذي في جامعه (٤/ ٥٧٣) برقم (٢٣٤٤) أبواب الزهد باب في التوكل على الله. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٨٩) برقم (١١٨٠٥) كتاب الرقائق. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٩٤) برقم (٤١٦٤) كتاب الدعاء باب التوكل واليقين. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ١٦٤).

(٥) يونس: ٦٧.



﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾[(١)]، وكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية أو جيشًا، بعثهم من أول النهار، والبكور هو صدر النهار وأوَّله، وروى أبو داود وأحمد والنسائي من حديث النعمان بن مُقَرِّن- رضي الله عنه- قال:" شَهِدْتُ معَ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَكانَ إذا لَم يقاتِلْ أوَّلَ النَّهارِ؛ انتَظرَ حتَّى تزولَ الشَّمسُ، وتَهُبَّ الرِّياحُ، وينزلَ النَّصرُ"[(٢)].

وإنَّما خصَّ صلى الله عليه وسلم البكور بالدعاء بالبركة فيه من بين سائر الأوقات- والله أعلم- لأنَّه وقتٌ يقصده الناس بابتداء أعمالهم، وهو وقت نشاطٍ وقيامٍ من دَعَة فخصَّه بالدعاء، لينال بركة دعوته جميع أمَّته.

وقد نصَّ الشافعية والترمذي، وابن بطال وابن العربي، وابن القيم والشوكاني: على الحثِّ على التبكير في طلب الرزق (البيع والشراء)؛ لأنَّ وقت البكور هو وقت النشاط الجالب للبركة، ولقد أمر الله تعالى الإنسان بالعمل وطلب الرزق وبذْل الأسباب، مع كمال التوكُّل على الرزَّاق الكريم، ونهى عن تكفُّف الناس وسؤالهم والذلِّ لهم؛ قال صلى الله عليه وسلم:" لأن يحتطب أحدكم حُزمة على ظهره خيرٌ له من أن يسأل أحدًا، فيعطيه أو يمنعه" رواه البخاري[(٣)]، وقال صلى الله عليه وسلم:" مَا أَكَلَ أحَدٌ طَعامًا قَطُّ خَيْرًا مِن أنْ يَأْكُلَ مِن عَمَلِ يَدِهِ، وإنَّ نَبِيَّ اللَّهِ داوُدَ- عليه السَّلامُ- كانَ يَأْكُلُ مِن عَمَلِ يَدِهِ" رواه البخاري[(٤)]، وقال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الرِّزقَ ليطلُبُ العبدَ كما يطلُبُه أجَلُه" رواه ابن حبَّان[(٥)].

وإنَّ من أسباب جلب الرزق: التبكير في طلب الرزق لأنَّه يزيد الرزق؛ فعن صخر الغامدي- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اللَّهمَّ بارِكْ لأمَّتي في بُكورِها".

---

(١) النبأ: ٩ - ١١.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ١٥٣) برقم (٢٣٧٤٤). والترمذي في جامعه (٤/ ١٦٠) برقم (١٦١٣) أبواب السير باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ٣٣) برقم (٨٥٨٣) كتاب السير، التعبئة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ١١٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٧) برقم (٢٠٧٤) كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٢١) برقم (١٠٤٢) كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٧) برقم (٢٠٧٢) كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه (٨/ ٣١) برقم (٣٢٣٨) كتاب الزكاة، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من قلة الجد في طلب رزقه بما لا يحل. والحديث قال عنه الألباني: "صحيح لغيره" كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٥/ ١٧٤).



وَكانَ إذا بَعثَ سريَّةً أو جيشًا بَعثَهُم من أوَّلِ النَّهارِ. وَكانَ صخرٌ رجلًا تاجرًا، وَكانَ يَبعثُ تجارتَهُ من أوَّلِ النَّهارِ فأثرَى وَكَثُرَ مالُهُ. رواه أبو داود[١].

قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله – في شرح رياض الصالحين: حديث صخر– رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" اللهمَّ باركْ لأمَّتي في بكورها". أي: في أوَّل النهار، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أن يبارك الله في أوَّل النهار فيه لأمَّته؛ لأنَّه مستقبل العمل، فإنَّ النهار– كما قال الله تعالى– معاشٌ، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾[٢]، فإذا استقبله الإنسان من أوَّله صار في ذلك بركة، وهذا شيءٌ مُشاهَد؛ أنَّ الإنسان إذا عمل في أوَّل النهار وجد في عمله بركة، لكن– وللأسف– أكثرُنا اليوم ينامون في أوَّل النهار، ولا يستيقظون إلَّا في الضحى، فيفوت عليهم أوَّل النهار الذي فيه بركة، وقد قال العامة: أمير النهار أوَّله، يعني أنَّ أوَّل النهار هو الذي يتركَّز عليه العمل، وكان صخر يبعث بتجارته أوَّل النهار، فأثرى وكثر ماله؛ مِن أجل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة لهذه الأمَّة في بكورها[٣].

والتبكير في طلب الرزق يعني أنَّ المسلم استيقظ مُبكِّرًا وأدَّى صلاة الفجر، لينطلق بعدها في طلب رزقه الحلال، بحيث يسعى في الأرض ويباشر عمله، فيرزقه الله من فضله الكثير، أمَّا الذي يتأخَّر في النوم فهو لا يقوم لصلاة الفجر، رغم أنَّ عدم صلاة الفجر فيه حرمان من الرزق وبركته، وقال ابن القيم– رحمه الله–:" نومة الفجر تمنع الرزق؛ لأنَّه وقت تقسيم الأرزاق". ولقد قال بعض العلماء: إنَّ نوم الصبح يمنع الرزق؛ ولهذا فهو يُسمَّى بالحيلولة؛ أي أنَّه يحول بين الرجل والرزق، وهذا فيه ترغيبٌ للمسلم أن يجدَّ ويجتهد في طلب الرزق من الصباح الباكر، ولقد رأى ابن عبَّاس– رضي الله عنهما– ابنًا له نائمًا نوم الصبح، فقال له: قُمْ، أتنام في الساعة التي تُقسَّم فيها الأرزاق؟! وذلك وقت تَطلب فيه الخليقةُ أرزاقها، وهو وقت قسمة الأرزاق[٤].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ١٧٧) برقم (١٥٤٤٣). وأبو داود في سنه (٣/ ٣٥) برقم (٢٦٠٦) كتاب الجهاد باب في الابتكار في السفر. والترمذي في جامعه (٣/ ٥٠٩) برقم (١٢١٢) أبواب البيوع باب ما جاء في التبكير في التجارة. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ١٢٠) برقم (٨٧٨٢) كتاب السير، الوقت الذي يستحب فيه توجيه السرية. وابن ماجه في سننه (٧٥٢/٢) برقم (٢٢٣٦) كتاب التجارات باب ما يرجى من البركة في البكور. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣/ ٢١٢) .

(٢) النبأ: ١١.

(٣) شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٨٢).

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٢١).



ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول:

توكَّلتُ فِي رزقي على اللهِ خالِقِي وأيقنتُ أنَّ اللهَ لا شكَّ رازِقِي

وَمَا يكُ مِن رزقي فليسَ يفوتُني ولو كان في قاع البحار العوامِقِ[1]

والخلاصة: أنَّه ممَّا يُستفاد من أحاديث التبكير في الرزق: الدعوة إلى النشاط وترك الكسل، والأخذ بأسباب وفرة الإنتاج، وكثرة الربح في كلِّ المجالات. كذلك الحرص على تحصيل البركة التي دعا بها النبي صلى الله عليه وسلم في طلب المعيشة، وطلب العلم، وطلب الغزو، ونحو ذلك. والحثُّ على اغتنام الأوقات. وأنَّ بعض الأوقات أفضل من بعض. فينبغي للمؤمن أن يحرص على الكسب وطلب الرزق بالوسائل المباحة التي أباحها الله وأحلَّها.

(١) ديوان الإمام الشافعي (ص: ٧٨). ديوان الإمام الشافعي، المؤلف : أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى المتوفى عام ٢٠٤هـ.



٢١ رجب
الصراط المستقيم

القرآن الكريم هو كتاب الله الخاتم الذي جاء للناس كافَّة حتى قيام الساعة، ولقد ورد لفظ الصراط المستقيم في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرَّة، ولقد تعدَّدت الآراء في معنى الصرط المستقيم؛ فما هو؟ المقصود بالصراط المستقيم هو الطريق الذي يسير عليه المسلم على هُدَى من ربِّه.

ولقد تعدَّدت الأقاويل المذكورة عن الصراط المستقيم؛ فذهب البعض لقول: إنَّ الصراط المستقيم هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله، وذهب آخرون بقول: إنَّه القرآن، وآخرون بأنه الإسلام. وذهب ابن القيم- رحمه الله- بالقول الجامع في هذا الأمر فقال: الصراط المستقيم هو الطريق الذي نصبه الله لعباده على ألسنة رسله، وجعله مُوصِّلًا لعباده إليه، ولا طريق لهم سواه، وهو إفراده بالعبودية، وإفراد رسله بالطاعة، وهو مضمون شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله(١).

وقال ابن عثيمين- رحمه الله-: إنَّ الصراط لا يُطلَق على الطريق إلَّا إذا كان واسعًا، أمَّا الطريق الضيق فليس بصراط، ووجه ذلك في المعنى: أنَّ الصراط والزراط والسراط كلَّها تدلُّ على سعة وسهولة النفوذ، يُقال: زرط الرجل اللقمة. أي: ابتلعها بسرعة وسهولة، هنا الصراط أي: الطريق الواسع الذي يمضي به الإنسان من غير تعب ولا مشقة؛ لكنَّ الصراط قد يكون مائلًا، وقد تكون فيه مرتفعات ومنخفضات، ولهذا قال: (الْمُسْتَقِيمَ) أي: الذي لا اعوجاج فيه، وليس فيه منخفض ولا مرتفع، لأنَّ الطريق المعوَّج يعوق(٢).

وقد كان من تمام رحمة الله تعالى أن بعث رسله مُبشِّرين ومُنذِرين ليعتدل أمر الناس ويستبينوا طريق الله تعالى من طريق الشيطان، يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(٣)، وكانت دعوتهم جميعًا إلى صراط الله المستقيم؛ ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة الخاتمة، ودعا إلى ما دعتْ إليه الرسل من التزام هذا

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٠) .

(٢) لقاء الباب المفتوح (١١٣/ ٤، بترقيم الشاملة آليا). لقاء الباب المفتوح، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، [لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ]، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٣)الحديد: ٢٥.



الصراط، ووصفه ربُّه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾[١]، والصراط المستقيم هو دعوة الرسل جميعًا، وهو الهدف الذي يسعى إبليس اللعين أن يقعد لبني آدم عليه فيصدَّهم عنه، ومعنى كون الله تعالى على صراط مستقيم أنَّه سبحانه على طريق مستقيم في قضائه وقدره، وأمره ونهيه، يهدي مَن يشاء إليه بفضله ورحمته، ويصرف عنه مَن يشاء بعدله وحكمته.

ولقد صوَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم التزام الصراط المستقيم والخروج عنه، أي ذلك الصراع بين طاعة الرحمن وطاعة الشيطان فيما يرويه عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: خطَّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خطًّا بيدِه ثم قال: هذا سبيلُ اللهِ مستقيمًا، وخطَّ خطوطًا عن يمينِه وشمالِه، ثم قال: هذه السبلُ ليس منها سبيلٌ إلَّا عليه شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾[٢]، رواه أحمد[٣].

أمَّا دعوته صلى الله عليه وسلم إلى هذا الصراط المستقيم في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[٤]، فهي كما يقول ابن القيم- رحمه الله تعالى-: كلُّ علم أو عمل أو حقيقة، أو حال أو مقام خرج من مشكاة نبوته، فهو من الصراط المستقيم، وما لم يكن كذلك فهو من صراط أهل الغضب والضلال. فما ثمَّ خروج عن هذه الطرق الثلاث: طريق الرسول- صلى الله عليه وسلم- وما جاء به، وطريق أهل الغضب (المغضوب عليهم)، وهي طريق مَن عرف الحق وعانده، وطريق أهل الضلال وهي طريق مَن أضله اللهُ عنه. ولهذا قال عبد الله بن عبَّاس وجابر بن عبد الله- رضي الله عنهما-:" الصراط المستقيم: هو الإسلام" وقال عبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب- رضي الله عنهما-:" هو القرآن"، ولا ريب أنَّ ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه علمًا وعملًا وهو معرفة الحق وتقديمه، وإيثاره على غيره، فهو الصراط المستقيم[٥].

---

(١) الشورى: ٥٢ – ٥٣.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٧/ ٤٣٦) برقم (٤٤٣٧). والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٩٥) برقم (١١١٠٩) كتاب التفسير، سورة الأنعام قوله تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيما} [الأنعام: ١٥٣]. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/ ١٤٦).

(٤) الشورى: ٥٢.

(٥) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٨١) .

إنَّ الابتلاء والفتنة يُمحِّصانِ العبد ويرُدَّانِه إلى هذا الصراط المستقيم؛ إذا استطاع الشيطان في لحظة من لحظات الضعف الإنساني أن يُخرِجِ الإنسان عن هذا الصراط المستقيم ويسلك به سبلًا أخرى،وقد كان من رحمة الله سبحانه ألَّا يدع الإنسان فريسة لهذا الشيطان، وإنَّما زوَّده بوسائل الحماية والوقاية منه، ثم هيَّأ له وسائل الإفلات إن وقع في الفخ وخرج عن الصراط المستقيم، فمن ذلك:

١-الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة: مصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١].

٢- واعظ الله- عز وجل- في قلوب عباده المؤمنين: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ضربَ اللهُ تعالى مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنْبَتَيِ الصراطِ سورانِ ، فيهما أبوابٌ مُفَتَّحَةٌ ، وعلَى الأبوابِ ستورٌ مُرْخَاةٌ، وعلى بابِ الصراطِ داعٍ يقولُ: يا أيُّها الناسُ؛ ادخلوا الصراطَ جميعًا ولَا تَتَعَوَّجُوا، وداعٍ يدعُو مِنْ فَوْقِ الصراطِ، فإذا أرادَ الإنسانُ أنْ يفتحَ شيئًا مِنْ تِلْكَ الأبْوابِ قال: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، فالصراطُ الإسلامُ، والسُّورانِ حدودُ اللهِ، والأبوابُ الْمُفَتَّحَةُ محارِمُ اللهِ تعالى، وذلِكَ الدَّاعِي على رأسِ الصراطِ كتابُ اللهِ، والداعي مِنْ فوقِ واعظُ اللهِ في قلْبِ كُلِّ مسلِمٍ" رواه الترمذي[٢]؛ فهذا الواعظ في قلوب المؤمنين هو الإلهام الإلهي بواسطة الملائكة أو نور الفطرة.

٣- الدعاء والاعتصام بالله: تشتدُّ حاجة العبد أن يسأل ربَّه أن يهديه إلى هذا الصراط المستقيم، وكان سؤال هذه الهداية أوجب دعاء على كلِّ عبدٍ، وقد أوجبه الله عليه كلَّ يومٍ وليلةٍ؛ بقوله تعالى في سورة الفاتحة:﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[٣]، ويُردِّد المسلم ذلك بعدد ركعات صلاة كلِّ يومٍ حتى يأتيه اليقين لشدَّة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة.

---

(١) المائدة: ١٥-١٦.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ١٨١) برقم (١٧٦٣٣). والترمذي في جامعه (٥/ ١٤٤) برقم (٢٨٥٩) أبواب الأمثال باب ما جاء في مثل الله لعباده. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٢٣) برقم (١١١٦٩)كتاب التفسير، سورة يونس. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٣٥٩) .

(٣) الفاتحة: ٦-٧.



قال شيخ الإسلام- رحمه الله-: فإنَّ الله تبارك وتعالى إذا هدى العبد إلى الصراط المستقيم؛ أعانه على طاعته، وترْك معصيته، فسلِم من الشرور في الدنيا والآخرة، وحصلتْ له السلامة، وحصل له الفوز والنعيم والراحة والروح، وحصلتْ له الحياة الكاملة بحسب لزومه لهذا الصراط المستقيم، فأعظم الدعاء أن يدعو العبد ربه أن يهديه صراطه المستقيم[١].

الخلاصة: لا بُدَّ لنا أن نتمسَّك بوصية الله لنبيِّه صلى الله عليه وسلم بالتمسُّك بالصراط المستقيم في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢].

وقال الشاعر:

هُدِيتُ إلى الصِّرَاطِ المستَقيمِ ... فَجِئتُ لحَجَّةِ البيتِ العَظِيمِ
وَعِندَ الحِجْرِ قَالَ الحِجْرُ: أبْشِر ... فَقَدْ حُطِّمَتْ ذُنوبُكَ بِالحَطِيمِ[٣]

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢١٦).

(٢) الزخرف: ٤٣.

(٣) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (٤/ ٩٤). سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، المؤلف: محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.



٢٢ رجب
آداب الدعاء

يُعتبَر الدعاء عبادةً من العبادات التي تُقرِّبُ العبد من الله سبحانه وتعالى، فإنَّ الدعاء يُحقِّق للعبد طلبه وسؤاله، فيتوسَّل إلى الله تعالى لينال حاجته. ولقد وعدَنا الله عز وجل بالاستجابة، فإنَّ الدعاء يكون بسؤال الله الحاجات، والأخذ بالأسباب التي تُؤدِّي إلى تحقيق المرجوِّ، والدعاءِ هو استدعاء العبد ربَّه عز وجل العناية، واستمداده منه المعونة؛ فلا يتخلَّى عن دعاء مولاه إلَّا قانطٌ أو مُتكبِّرٌ مُستغنٍ، وهذا مُوجبٌ لغضب الله سبحانه وسخطه، فدعاء العبادة ودعاء المسألة من الأمور التي يُحبُّها الله سبحانه من عباده المتقين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله– في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم: ومَن اعتاد الدعاء المشروع في أوقاته: كالأسحار، وأدبار الصلوات، والسجود ونحو ذلك؛ أغناه عن كلِّ دعاءٍ مُبتدَعٍ في ذاته أو في بعض صفاته[١].

والآداب التي تحتفُّ بالدعاء ثلاثةأقسام: قبل الدعاء، وخلاله، وبعده:

أوَّلًا: آداب قبل الدعاء منها: التوبة وردُّ المظالم لأهلها. قال تعالى:﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾[٢]، والتقدُّم بين يدي ربِّه بحُسن العبادة من الفرائض، وبرِّ الوالدين، والنوافل كالصدقة وغيرها؛ التي يَستجلِب بها العبد محبَّة ربِّه تبارك وتعالى، فعن أَبي هريرة– رضي الله عنه– قال: قال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله قال: مَن عادى لي وَلِيًّا فَقَد آذَنتُهُ بِالحَربِ، ومَا تَقَربَ إِلَيَّ عَبدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افترَضتُ عَلَيهِ، ومَا يَزَالُ عَبدِي يَتقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنوَافِلِ حَتى أُحِبَّهُ، فَإذا أَحبَبتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الذِي يَسمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبصِرُ بِهِ، وَيدَهُ التِي يَبطِشُ بِهَا، وَرِجلَهُ التي يَمشِي بِهَا، وَإِن سَأَلَنِي لأعطِيَنَّهُ، وَلَئِن استعَاذنِي لأُعِيذنَّهُ"رواه البخاري[٣].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٧٠). اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

(٢) هود: ٩٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٥) برقم (٦٥٠٢) كتاب الرقاق باب التواضع.



وتحرّي المال الحلال. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١]، وعن أَبِي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المؤمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المرسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[٣]، ثُم ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشعَثَ أَغبَرَ، يَمُدُّ يَدَيهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ، فَأَنَّى يُستجَابُ لِذَلِكَ؟! "رواه مسلم[٤].

ثانيًا: آداب عند الدعاء منها: الوضوء واستقبال القبلة؛ يُستحبُّ للعبد قبل أن يبدأ بالدعاء ومناجاة الله عز وجل أن يتوضَّأ ويستقبل القبلة، وفي هذا اقتداءٌ بفِعْلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فعن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عبَّاس- رضي الله عنهما- قالا:" لَمَّا كانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى المشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ برَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إنْ تُهْلِكْ هذِه العِصَابَةَ مِن أَهْلِ الإسْلَامِ لا تُعْبَدْ في الأرْضِ، فَما زَالَ يَهْتِفُ برَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عن مَنْكِبَيْهِ" رواه مسلم[٥].

ثم البدء بحمد الله والثناء عليه؛ ليكون دعاء المسلم أقرب للإجابة، ويحصل له منه أكبر أجر، وأن يتخيَّر لذلك أفضل ما يُحسنه من الألفاظ التي تليق بالله جل جلاله، ويتخيَّر أنبل الصفات وأكرمها، فهو يخاطب ملك الملوك، وأن يختم دعاءه بالثناء والحمد.

والدليل على استحباب ذلك: عن فضالة بن عبيد- رضيَ الله عنه- قال:" سمعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رجُلًا يدعو في صَلاتهِ، ولم يحمَدِ اللهَ، ولم يُصلِّ علَى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقالَ: عَجِلَ هذا، ثمَّ دعاهُ، فقالَ: إذا صلَّى أحدُكم فليبدَأْ بتحميدِ ربِّهِ والثَّناءِ علَيهِ، ثمَّ يصلِّي علَى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، ثمَّ يدعو بعدُ بما شاءَ" رواه أحمد[٦].

---

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) المؤمنون: ٥١ .

(٣) البقرة: ١٧٢.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٣) برقم (١٠١٥) كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٨٣) برقم (١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٣٦٣) برقم (٢٣٩٣٧). وأبو داود في سننه (٢/ ٧٧) برقم (١٤٨١) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٥١٧) برقم (٣٤٧٧) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٧١) برقم (١٢٠٨) كتاب المساجد، التحميد، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٤٧٧) .



ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند شروعه بالدعاء، وذلك لأنَّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تجعل الدعاء أدعى للقبول، وفي موضع الصَّلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم ١أثناء الدعاء ثلاثة أقوال؛ وهي: أن يُصلّي على النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء وبعد الحمد والثناء، وأن يُصلّي على النبيّ صلى الله عليه وسلم أوَّل الدعاء وأوسطه وآخره، وأن يُصلّي على النبي صلى الله عليه وسلم أوَّل الدعاء وآخره.

قال النووي: أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه، ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك يُختَم الدعاء بهما[1].

والعزم والجزم في الدعاء؛ فعن أَبِي هريرة- رضي الله عنه- أَن رَسُولَ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- قال:" لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُم: اللهمَّ اغفِرْ لي إِن شِئتَ، اللهمَّ ارحَمنِي إِن شِئتَ، لِيَعزِمِ المسألَةَ؛ فإنهُ لا مُكرِهَ لَهُ" رواه البخاري[2].

يقول العلامة ابن عثيمين- رحمه الله- حول أسباب كراهية مثل هذا النوع من الدعاء:

"الأول: أنَّه يُشعِر بأنَّ الله له مُكْرِهٌ على الشيء، وأنَّ وراءه مَن يستطيع أن يمنعه، فيقول: أنا لا أُكرِهك إن شئتَ فاغفرْ، وإن شئتَ فلا تغفرْ.

الثاني: أنَّ قول القائل: إن شئتَ كأنَّه يرى أنَّ هذا أمرٌ عظيمٌ على الله، فقد لا يشاؤهُ، لكونه عظيمًا عنده.

الثالث: أنَّه يُشعِر بأنَّ الطالب مُستغنٍ عن الله، كأنَّه يقول: إن شئتَ فافعل، وإن شئتَ فلا تفعل، فأنا لا يُهمُّني، والتعليق يُنافي ذلك؛ لأنَّ المعلِّق للشيء المطلوب يُشعِر أنَّه مُستغنٍ عنه، والإنسان ينبغي أن يدعو الله تعالى وهو يشعر أنَّه مُفتقِرٌ إليه غاية الافتقار، وأنَّ الله قادرٌ على أن يُعطيه ما سأل، وأن لا يدعو بهذه الصيغة، بل يجزم فيقول: اللهمَّ اغفرْ لي، اللهمَّ ارحمني، اللهمَّ وفِّقني، وما أشبه ذلك"[3].

---

(١) الأذكار للنووي (ص: ١١٧). الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٤) برقم (٦٣٣٩) كتاب الدعوات باب ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٣) برقم (٢٦٧٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت.

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ٩١٧- ٩١٨). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأخيرة - ١٤١٣هـ.

ثالثًا: آداب بعد الدعاء: أن يُوقن بالإجابة، ويُحسِن الظنَّ بالله سبحانه، ولا يستعظم المسألة. يقول الله عز وجل:" أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معهُ حين يذكرني" رواه مسلم[١]، وأن يستمرَّ في الدعاء في الشدَّة والرخاء؛ عن أَبِي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" مَن سَرَّهُ أَن يَستَجِيبَ اللهُ لَهُ عِندَ الشَّدائِدِ وَالكَرْبِ، فَلْيُكثرِ الدُّعَاءَ فِي الرخَاءِ" رواه الترمذي[٢].

وأن لا ييأس من الدعاء، ولا يقول: دعوتُ ولم يُستجَبْ لي، ولا يستعجل الإجابة. عن عبادة بن الصامت- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" ما على الأرض مسلمٌ يدعو الله بدعوةٍ إلَّا آتاه الله إياها، أو صَرَفَ عنه مِن السوء مِثلَها، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم"، فقال رجلٌ من القوم: إذًا نُكثر، قال:" الله أكثر" رواه الترمذي[٣].

فقد تتأخَّر الإجابة لِحِكَمٍ يعلمها الله سبحانه، فقد يستجيب له حالًا، وربَّما يستجيب له بعوضٍ، أَو يدفع عنه مِن السوء ما لا يعلم، وربَّما يرتبط العبد بربِّه ويزيد في أجره، فيُحاسِب نفسه ويتفقَّد أعماله، ويتذلَّل إلى ربِّه، ويبكي بين يديه ليرفع قدره.

وقد قال الشافعي:

أَتَهــزَأُ بِالــدُعاءِ وَتَزدَريــهِ ... وَما تَدري بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
سِهَامُ اللَيلِ لَا تُخْطِي وَلَكِنْ ... لَهَـا أَمَـدٌ وَلِلأَمَـدِ انقِضَـاءُ[٤]

الخلاصة: قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في فتاوى" نورٌ على الدرب": إنَّ من آداب الدعاء أن يُلِحَّ الإنسان في الدعاء ويُكرِّر، حتَّى وإن تخلَّف في الإجابة في أوَّل مرَّة، أو ثاني مرَّة، فليكرِّر، فإنَّ الله تعالى قد يمنع العبد من الإجابة في أوَّل مرَّة مِن أجل أن يزداد في دعاء ربِّه وافتقاره إليه، وأيضًا يكون امتحانًا للعبد؛ هل يستمر في دعائه لله؟![٥]

فعلى العاقل أن يجتهد في اتِّباع السُّنَّة في كلِّ شيءٍ من ذلك، ويعتاض عن كلِّ ما يظنُّ من البدع أنَّه خيرٌ بنوعه من السُّنن، فإنَّه من يتحرَّ الخيرَ يُعطَه، ومَن يتوقَّ الشرَّ يُوقَه".

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢١) برقم (٧٤٠٥) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه} [آل عمران: ٢٨]. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦١) برقم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٤٦٢) برقم (٣٣٨٢) أبواب الدعوات باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٣٨٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٤٤٨) برقم (٢٢٧٨٤). والترمذي في جامعه (٥/ ٥٦٦) برقم (٣٥٧٣) أبواب الدعوات باب في انتظار الفرج وغير ذلك. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٧٣).

(٤) ديوان الإمام الشافعي (ص: ٣).

(٥) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٢٤/ ٢، بترقيم الشاملة آليا) .

٢٣ رجب

آداب قراءة القرآن

القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة إلى يوم الدين، وكتابه المبين الذي أنزله نورًا وهدىً للناس؛ لا تستقيم حياة الإنسان دون تلاوته وتدبُّره واستقاء الأحكام من آياته. قال تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[١].

وفي فضل تلاوة القرآن الكريم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أُوصيكَ بتَقْوى اللهِ؛ فإنَّه رأسُ كُلِّ شَيءٍ، وعليكَ بالجِهادِ؛ فإنَّه رَهبانيَّةُ الإسلامِ، وعليكَ بذِكْرِ اللهِ وتِلاوةِ القُرآنِ؛ فإنَّه رُوحُك في السَّماءِ، وذِكْرٌ لك في الأرضِ" رواه أحمد[٢].

والمراد بترتيل القرآن: تلاوته تلاوة يتبيَّن حروفها، ويتأنَّ في أدائها؛ ليكون أدنى إلى فهم المعاني، والقراءة أعمُّ من التلاوة فكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليست كلُّ قراءةٍ تلاوةٌ، لا يُقال: تلوتُ رُقعتك، وإنَّما يُقال في القرآن في شيءٍ إذا قرأتَه وجبَ عليك اتِّباعه، كذا قال الراغب[٣]، ويُفهَم منه أنَّ التلاوة خاصَّة بالقرآن الكريم مع الاتِّباع، وليست القراءة كذلك، وفرَّق التهانوي بين القراءة والتلاوة والأداء؛ فقال: والفرق بينها وبين الأداء والقراءة: أنَّ الأداء الأخْذ عن المشايخ، والقراءة تُطلَق عليهما معًا أي الأداء والتلاوة، إذ هي أعمُّ منهما[٤].

ولتلاوة القرآن الكريم وسماعه آدابٌ ينبغي على المسلم أن يراعيها، ويتخلَّق بها لينتفع بها، ويبلغ رضا الله عز وجل، وقراءة القرآن لها فضلٌ عظيمٌ، فهو نورٌ يُضيء دروبنا بالإيمان، ونرفع به درجاتنا، فإنَّ لقارئ القرآن الأجر العظيم من عند الرحمن، كما ورد في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ- رَضِيَ الله

---

(١) محمد: ٢٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٨/ ٢٩٧) برقم (١١٧٧٤). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٩٤).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٦٧). المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ٥٠٥). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.



عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ" رواه الترمذي(١).

ومن آداب تلاوة القرآن الكريم:

١- إخلاص النِّيَّة: فمن أهمِّ آداب تلاوة القرآن الكريم أن يُخلِص القارئ نيَّته لله تعالى وحده، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى" متفق عليه(٢)، وأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر قارئ القرآن من ضمن الثلاثة الذين تُسعَّر بهم النار يوم القيامة، ولا شكَّ أنَّ سبب تسعير النار به؛ هو قصْده وجهًا آخر في قراءته، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكلُّ أمةٍ جاثية، فأوَّل مَن يُدعَى به رجلٌ جمع القرآن، ورجلٌ قُتل في سبيل الله، ورجلٌ كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلِّمك ما أنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملتَ بما علمتَ؟ قال: كنتُ أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبتَ، وتقول له الملائكة: كذبتَ، ويقول الله له: بل أردتَ أن يُقال: فلانٌ قارئٌ، فقد قيل ذلك- أي أخذتَ أجرك في الدنيا- ثم يُسحَب إلى النار، والعياذ بالله" رواه الترمذي(٣).

٢- تلاوة القرآن على طهارة: ورغم الخلاف الحاصل بين العلماء في حكم الطهارة لتلاوة القرآن ومسِّ المصحف؛ إلَّا أنَّه لا شكَّ في أنَّ ذلك أفضل، قال النووي: أجمع المسلمون على جواز قراءة القرآن للمُحدِث، والأفضل أن يتطهَّر لها(٤)، ويرى السيوطي استحباب الوضوء؛ لأنَّ القرآن الكريم أفضل الأذكار، وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن يذكر الله إلَّا على طهر، قال إمام الحرمين: ولا تُكرَه القراءة للمُحدِث؛ لأنَّه صحَّ أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ مع الحدث

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ١٧٥) برقم (٢٩١٠) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٤١٠).

(٢)رواه البخاري في صحيحه (١/ ٦) برقم (١) بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥١٥) برقم (١٩٠٧)كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٩١) برقم (٢٣٨٢) أبواب الزهد باب ما جاء في الرياء والسمعة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٩٥) برقم (١١٨٢٤)كتاب الرقائق. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٣٨٢).

(٤) المجموع شرح المهذب (٢/ ١٦٣).

الأصغر، وإذا كان يقرأ تعرَّضت له ريح أمسك عن القراءة حتى يستتمَّ خروجها، وأمَّا الجنب والحائض فتحرُم عليهما القراءة، وإن كان يجوز لهما النظر في المصحف، وإمراره على القلب[١]، أي التلاوة بغير صوت.

٣- استقبال القبلة: ذكر بعض أهل العلم أنه من آداب تلاوة القرآن الكريم، واستدلُّوا على ذلك بحديث:" إنَّ أشرف المجالس ما استُقبِل به القبلة" رواه أبو داود وابن ماجه[٢]، وإن كان الحديث ضعيفًا، إنَّما إذا استقبل القارئ القبلة يكون ذلك أفضل.

٤- التسوُّك: فيُستحبُّ لقارئ القرآن التسوُّك، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" إنَّ العبد إذا تسوَّك ثم قام يُصلِّي؛ قام الملك خلفه فيستمع لقراءته، فيدنو منه أو كلمة نحوها، حتى يضع فاه على فيه، فما يخرج من فيه شيءٌ من القرآن؛ إلَّا صار في جوف الملك، فطهِّروا أفواهكم للقرآن" صحيح الترغيب والترهيب[٣].

٥- وكذلك من آداب تلاوة القرآن الكريم؛ أن يستعيذ القارئ بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٤]، أي: إذا أردتَ القراءة، وبعض أهل العلم قد أوجب الاستعاذة عند قراءة القرآن الكريم لظاهر الآية، ولكنَّ جمهور العلماء على استحباب ذلك، ويُفضَّل للقارئ أن يجهر بالاستعاذة لكي ينصت المستمعون حوله للقراءة، ومن أفضل صيغ الاستعاذة: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٦٣). الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٢) لم أقف عليه في سنن أبي داود ولا ابن ماجه، لكن رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٣٢٠) برقم (١٠٧٨١). والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٣٠٠) برقم (٧٧٠٦). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٦/ ٣٠٠). ولعله يغني عنه حديث: "إن لكل شيء سيدا، وإن سيد المجالس قبالة القبلة" ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٣٠٠). المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

(٣) صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٠٤). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٢١٥). صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٤) النحل: ٩٨.



٦- وأن يحافظ القارئ على قراءة البسملة عند أوَّل كلِّ سورةٍ غير براءة؛ لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يعرف انقضاء السورة وابتداء السورة التي تليها عن طريق البسملة(١)، إلَّا في موضعٍ واحد وهو ما بين الأنفال وبراءة، فقد تركهما الصحابة بغير بسملةٍ بينهما؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم تُوفِّي ولم يبيِّن لهم هل هما سورةٌ واحدةٌ أم لا؟ وبما أنَّ البسملة تكون في بداية كلِّ سورةٍ، فإذا بدأ القارئ من وسط السورة فيكتفي بالاستعاذة.

٧- كذلك من الآداب ترتيل القرآن قال تعالى: ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾(٢)، وكانت أم سلمة- رضى الله عنها- تصف قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّها قراءةٌ مُفسَّرةٌ حرفًا حرفًا(٣)، وقال ابن مسعود- رضي الله عنه-: لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ كَهَذِّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ(٤).

٨- ومن الآداب أيضًا أن يسجد إذا مرَّ بآيةِ سجدةٍ؛ وهو على وضوءٍ في أيِّ وقتٍ كان من ليلٍ أو نهارٍ، فيُكبِّر للسجود ويقول: سبحان ربي الأعلى، ويدعو، ثم يرفع من السجود بدون تكبير ولا سلام، لأنَّه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم، إلَّا أن يكون السجود أثناء الصلاة، فإنَّه يُكبِّر إذا سجد وإذا قام، لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه-: أنَّه كان يُكبِّر في الصلاة كلَّما خفض ورفع، ويُحدِّث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك" رواه مسلم(٥).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (١/ ٢٠٩) برقم (٧٨٨) أبواب تفريع استفتاح الصلاةباب من جهر بها. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢/ ٢٨٨) .

(٢) المزمل: ٤.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤٤/ ١٤٧) برقم (٢٦٥٢٦). وأبو داود في سننه (٢/ ٧٣) برقم (١٤٦٦) باب تفريع أبواب الوتر باب استحباب الترتيل في القراءة. والترمذي في جامعه (٥/ ١٨٢) برقم (٢٩٢٣) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٢٨) برقم (١٠٩٦) كتاب المساجد، تزيين القرآن بالصوت. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ٤٦٦).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٢٥٦) برقم (٨٧٣٣).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٥٧) برقم (٧٨٥) كتاب الأذان باب إتمام التكبير في الركوع. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٩٣) برقم (٣٩٢) كتاب الصلاة باب إثبات التكبير في كل خفض، ورفع في الصلاة إلا رفعه من الركوع فيقول: فيه سمع الله لمن حمده.



٩- وممَّا يتعلَّق أيضًا بآداب تلاوة القرآن؛ الاجتماع لتلاوته، كما قال الرسول- صلى الله عليه وسلم-:" ما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللَّهِ يتلونَ كتابَ اللَّهِ، ويتدارسونَهُ فيما بينَهم إلَّا نزلَت عليهِم السَّكينةُ، وغشِيَتهُمُ الرَّحمةُ، وحفَّتهُمُ الملائكَةُ، وذكرَهُمُ اللَّهُ فيمَن عندَهُ" رواه مسلم(١). فإنَّ الاجتماع لتلاوة القرآن الكريم وتدبُّره من المستحبَّات التي لها آثارٌ عظيمة.

١٠- وكذلك من الآداب: البكاء عند تلاوة القرآن الكريم لقول الله تعالى:﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴾(٢)، والبكاء يكون دليلًا على الخشوع، فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم لما أمر ابن مسعود- رضي الله عنه- أن يقرأ عليه التفت إليه ابن مسعود- رضي الله عنه-، فإذا عيناه صلى الله عليه وسلم تذرفان. رواه البخاري(٣).

وليس شرطًا أن يكون بكاءً مُصطنعًا، لكن لا ننسى أنَّ التباكي والشعور بكلمات القرآن هو ما يُوصِّل للخشوع وإيصال المعاني إلى القلب.

الخلاصة: قراءة القرآن الكريم لها فضلٌ عظيمٌ. قال الشاعر:

يَا حامـلَ القـرءان اقـرأْ وارتـقِ رتـلْ، فأنـتَ المـؤمنُ الـرَّبَّانِي
بل أنتَ خيرُ الناسِ قـال المصطفى بحدِيثِه المـرْويّ عن عُثمانِ(٤)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٢) الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٥) برقم (٤٥٨٢) كتاب تفسير القرآن باب {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} [النساء: ٤١]. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥١) برقم (٨٠٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر.

(٤) البيتان من قصيدة بعنوان "عقود الجمان في حفظ القرآن". ينظر:
https://ar-ar.facebook.com/JmytAqraWArtq/posts/1164132333713355/.



٢٤ رجب
فضل الجلوس بعد الصلاة المكتوبة في المسجد

الصلاة هي العبادة العظيمة، والصلة القوية بين العبد وربِّه الكريم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾(١).

والصلاة لها فضائل كبيرة وأجور كثيرة؛ منها أجر انتظار الصلاة، ولقد ورَد في السُّنَّة النبوية الكثير من المحفِّزات لنيل أجر هذه العبادة الميسَّرة؛ فعن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أعظم الناس أجرًا في الصَّلاة؛ أَبْعَدُهم إليها مَمْشًى فأبعدُهم، والذي يَنتظر الصلاة حتَّى يُصلِّيها مع الإمام أعظمُ أجرًا مِن الذي يُصلِّيها ثم ينام" رواه مسلم(٢).

والمسلم اللبيب مَن يجعل انتظاره للصلاة غنيمة كبرى، فيمكنه استِثمار الوقت بذكر الله تعالى عن طريق الأذكار الشرعية، فينال أجر ذكره لله الكريم، وينال أجر انتظاره للصلاة، وينال فضل دعاء الملائكة الكرام- عليهم الصلاة والسلام-، ويمكنه أيضًا تعليم القرآن الكريم للغير لمِن استطاع، أو قراءة القرآن الكريم فيكتسب أجرًا كبيرًا مِن تلاوة القرآن الكريم بكلِّ كلمة يقرأها؛ فعن عبد الله بنِ مسعودٍ- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:" مَن قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" رواه الترموذي(٣).

ومن فضل الجلوس بعد الصلاة المكتوبة استغفار الملائكة للعبد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَ فِي مُصَلَّاهُ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، حَتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِثَ" رواه مسلم(٤).

---

(١) النساء: ١٠٣ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٦٠) برقم (٦٦٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ١٧٥) برقم (٢٩١٠) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٤١٠) .

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٩) برقم (٦٤٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة.



وفي رواية أخرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الملائكةُ تُصلِّي على أحدكم ما دام في مُصلَّاه، ما لم يُحدِثْ: اللهمَّ اغفرْ له، اللهمَّ ارحمْه، ولا يزال أحدُكم في صلاةٍ ما دامت الصلاةُ تحبسُه، لا يمنعه أن ينقلبَ إلى أهلِه إلَّا الصلاةُ" رواه البخاري[١].

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: ويشمل هذا الأجر المرأة لو صلَّت في مسجد بيتها، وجلست فيه تنتظر الصلاة؛ إذا كان يحبسها عن قيامها لأشغالها انتظار الصلاة. وهذا الثواب مشروط بألَّا يُحدِث المنتظر حدثًا في الإسلام، يعني ما لم يعصِ؛ بأن يُؤذي أحدًا بغيبة، أو سباب، أو نحوه، وقيل: بألَّا يُحدِث حدثًا ينقض الوضوء؛ لأنَّه إذا أحدث حدثًا ينقض الوضوء فإنَّه يبطل الصلاة، فيمنع أن يكون في صلاة، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الملائكة تقول في استغفارها للعبد: اللهمَّ اغفر له، اللهم ارحمه، والفرق بين المغفرة والرحمة: أنَّ المغفرة سترُ الذنوب والتجاوز عنها، والرحمة إفاضة الإحسان إليه.

وبيَّن صلى الله عليه وسلم أجرًا آخر لمن جلس ينتظر الصلاة، فذكر أنَّ له أجر المصلِّي وثوابه طيلة المدة التي تحبسه فيها الصلاة، ما دام لا يمنعه من الذهاب إلى أهله إلَّا الصلاة، ومقتضاه أنَّه إذا صرف نيَّته عن ذلك صارفٌ آخر انقطع عنه الثواب المذكور.

وكذا إذا شارك نيَّة الانتظار أمرٌ آخر[٢]، وقد كان المسلمون في زمن الرسول- صلى الله عليه وسلم- لا يخرجون من صلاتهم قبل خروج الرسول صلى الله عليه وسلم احترامًا وتعظيمًا له، وظاهره: أنَّ هذا الفضل لمن جلس ولم يُحْدِث ولم يُؤذِ بغيبة ونحوها، سواء انشغل بذكرٍ أم لا، وفضل الله الكريم واسعٌ، وكرمُه عظيمٌ، فيُرجَى لك هذا الثواب إن شاء الله تعالى، وإن انشغلتَ بالذكر أو بقراءة القرآن الكريم فهذا أكمل وأفضل، يجلس المصلِّي في مُصلَّاه فترةً بعد انتهاء صلاته لكي يستغفر الله عز وجل.

وتعلُّق القلب بالصلاة وانتظارها دليلٌ على صدْق الإيمان بالله تعالى، وطريق لنيل الأجر العظيم من الله عز وجل، وسببٌ للاستظلال يوم القيامة؛ فمن السبعة الذين يُظلُّهم الله تعالى يوم القيامة رجل قلبه مُعلَّقٌ بالمساجد، وهو حديث في الصحيحين:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: الإمَامُ العَادِلُ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ، أخْفَى حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٢) برقم (٦٥٩) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد.

(٢) لم أقف عليه من كلام الشيخ ابن عثيمين، لكن ذكر في موقع الدرر السنية. ينظر: https://dorar.net/hadith/sharh/33211. وينظر قريبًا من هذا المعنى أيضًا: شرح رياض الصالحين (٥/ ٦٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.



وفي رواية لمسلم:" وَرَجُلٌ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ"(١).وما تعلَّق قلبُه بالمسجد إلَّا لحبِّه إياه، وحبِّه المكث فيه، ومَن أحبَّ المسجد فقد أحبَّ ما يُحبُّ الله تعالى؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ:" أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا" رواه مسلم(٢).

ومن الفضائل أيضًا أنُّه مُكفِرٌ للخطايا؛ كما في الحديث القدسي في اختصام الملأ الأعلى وفيه: فَقَالَ الله تعالى:" يَا مُحَمَّدُ؛ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَالجُلُوسُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ" رواه الترمذي(٣).

أيضًا: أنَّه معدودٌ في الرباط المذكور في قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(٤)، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ألا أدلُّكم على ما يمحو اللهُ به الخطايا ويرفعُ به الدرجاتِ؟ قالوا: بلى يا رسولَ الله، قال: إسباغ الوضوءِ على المكارهِ، وكثرةُ الخُطا إلى المساجدِ، وانتظارُ الصَّلاة بعد الصلاةِ، فذلكم الرِّباطُ" رواه مسلم(٥).

وقد استنبط بعض العلماء منه: أنَّ المكث في المسجد بعد الصلاة أفضل من المكث قبلها. قال الحافظ ابن رجب- رحمه الله تعالى-: وهذا أفضل من الجلوس قبل الصلاة لانتظارها، فإنَّ الجالس لانتظار الصلاة ليُؤدِّيها ثم يذهب تقصر مدة انتظاره، بخلاف مَن صلَّى صلاة ثم جلس ينتظر أخرى فإنَّ مُدَّته تطول، فإن كان كلَّما صلَّى صلاة جلس ينتظر ما بعدها استغرق عمره بالطاعة، وكان ذلك بمنزلة الرباط في سبيل الله عز وجل(٦)، وكان يحيى القطَّان يلتمس الجدار حتى يصل إلى

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧١٦) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٦٤) برقم (٦٧١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٤٣٧) برقم (٣٤٨٤). والترمذي في جامعه (٥/ ٣٦٦) برقم (٣٢٣٣) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة ص. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٢٣٣) .

(٤) آل عمران: ٢٠٠.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢١٩) برقم (٢٥١) كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره.

(٦) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: ٦٧). اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: جسم الفهيد الدوسري، الناشر: مكتبة دار الأقصى – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٥.

المسجد وهو يقول: الصف الأول[1]، الصف الأول، الصف الأول، المساجد هي التي ربَّت الرجال، المساجد هي التي أخرجت الأبطال، المساجد هي التي علَّمتنا وثقَّفتنا، فأين البطَّالون؟!!

لا يُصنعُ الأبطـالُ إلَّا   في مســاجدِنا الفســاحِ
روضةُ القــرآنِ فــي   ظلِّ الأحاديثِ الصِّحـاحِ[2]

الخلاصة: المكث في المسجد طاردٌ للهموم والغموم والوساوس؛ فإنَّ أكثر ما يصيب العبد منها مِن تسلُّط الشيطان عليه، فإذا جلس في المسجد وجد فيه راحة لا يجدها في غيره؛ إذ يكون مُتهيئًا لقراءة القرآن، ولصلاة النافلة، وللتطوُّع بأنواع الذكر، وكلُّ ذلك ممَّا يُريح القلب، ويجلب الطمأنينة والسكينة؛ فإنَّ الصلاة راحة المؤمن، وبالذكر يطمئن القلب؛ قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3]، ولأهمِّيَّة الذكر بعد الصلاة المكتوبة حثَّ الله تعالى عليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، سواء كان قولًا أم فعلًا، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾[4]، فحريٌّ بالمؤمن أن يُطيل المكث في المسجد، ويُكثر فيه من الأعمال الصالحة من ذكر وقرآن، وصلاة وإحسان.

القَلْــبُ يَخْــشَعُ بِالصَّــلَاةِ   جَــماعَةً في المَسْجِــدِ
قَلْــبٌ تَعَلَّــقَ بِالمَسَاجِــدِ   نُــورُ حَــقٍّ يَهْتَــدِي
يَا سَعْــدُ عَبْــدًا مُؤمِنَــا   بُــرْدًا تَقِــيًّا يَرْتَــدي
يا نَفْسُ عِيشي في خُشــوعٍ   ذِكْــــرُ رَبِّي رَدِّدي[5]

---

(١) رواه قريبًا منه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٥٠). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (٢/ ٧٠٠). دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة) مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار، المؤلف: شحاتة محمد صقر، الناشر: جـ١ / دَارُ الفُرْقَان للتُرَاث — البحيرة، جـ ٢/ دار الخلفاء الراشدين - دار الفتح الإسلامي (الإسكندرية) .

(٣) الرعد: ٢٨.

(٤) ق: ٤٠.

(٥) لم أقف عليه.



٢٥ رجب
فضل المشي في حاجة الناس

الإنسان مُطالَبٌ دائمًا بفعل الخير؛ ولكن ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، وقضاء حوائج الناس تنشر المحبَّة بين أفراد المجتمع، وتُؤلِّف بين قلوب الناس؛ لذلك أمرنا الله تعالى بالتعاون في ميدان البر، ونهانا عن التعاون في ميدان الشر قال عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(١)، وقد جاء الأمر بفعل الخير بعد ذكر جملة من الشعائر؛ للدلالة على أنَّ فعل الخير لا يقلُّ عنها في المنزلة والثواب، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢)، وأيّدت السُّنَّة ذلك؛ فعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ: "المسْلِمُ أخُو المسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ولَا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حَاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حَاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرُبَاتِ يَومِ القِيَامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ" رواه مسلم(٣).

قال سَماحة العلَّامةِ الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: الحوائج: ما يحتاجه الإنسانُ ليكمل به أموره، وأمَّا الضروريات فهي ما يضطر إليه الإنسان ليدفع به ضرره، ودفْع الضرورات واجبٌ؛ فإنَّه يجب على الإنسان إذا رأى أخاه في ضرورة أن يدفع ضرورته؛ فإذا رآه في ضرورة إلى الطعام أو إلى الشراب، أو إلى التدفئة، أو إلى التبردة؛ وجب عليه أن يقضي حاجته، ووجب عليه أن يُزيلَ ضرورته ويرفعها. حتَّى إنَّ أهل العلم يقولون: لو اضطر الإنسان إلى طعامٍ في يد شخص أو إلى شرابه، والشخص الذي بيده الطعام أو الشراب لم يضطر إليه ومنَعَه بعد طلبه، ومات، فإنَّه يَضمَنُه؛ لأنَّه فرَّط في إنقاذ أخيه من هلَكة. أمَّا إذا كان الأمر حاجيًّا وليس ضروريًّا، فإنَّ الأفضل أن تُعِينَ أخاك على حاجته، وأن تُيسِّرَها له، ما لم تكن الحاجة في مضرَّته، فإن كانت الحاجة في مضرَّته فلا تُعِنْه؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾(٤)(٥)،

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) الحج: ٧٧ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٨) برقم (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦) برقم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

(٤) المائدة: ٢.

(٥) شرح رياض الصالحين (٣/ ٢٣) .

ولقد حثَّنا الله تعالى على السعي في قضاء حوائج الناس؛ لأنَّ ذلك من وسائل التقرُّب إلى الله تعالى، والحصول على الحسنات؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [1].

قال الإمام الطبري- رحمه الله-: ما تُقدِّموا- أيُّها المؤمنون- لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حج، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله؛ تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم هو خيرًا لكم ممَّا قدَّمتم في الدنيا، وأعظم منه ثوابًا؛ أي: ثوابه أعظم من ذلك الذي قدَّمتموه لو لم تكونوا قدَّمتموه[2].

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم؛ مرِضتُ فلم تعُدني- تَزُرْني-، قال: يا ربِّ؛ كيف أعودك وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أنَّ عبدي فلانًا مرِضَ فلم تعُده، أما علمتَ أنَّك لو عُدتَه لوجدتَني عنده؟ يا ابن آدم؛ استطعمتُك فلم تُطعمني، قال: يا ربِّ؛ وكيف أطعمك وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أنَّه استطعمك عبدي فلانٌ؛ فلمْ تُطعمْه؟ أما علمتَ أنَّك لو أطعمتَه لوجدتَ ذلك عندي، يا ابن آدم؛ استسقيتُك، فلمْ تُسقني، قال: يا ربِّ؛ كيف أسقيك وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلانٌ فلمْ تسقِه، أما إنَّك لو سقيتَه لوجدتَ ذلك عندي"[3].

والمؤمنون الذين يقضون الحوائج هم مفاتيح الخير؛ روى ابن ماجه عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ مِن الناس مفاتيح للخير مغاليق للشرِّ، وإنَّ مِن الناس مفاتيح للشرِّ مغاليق للخير، فطُوبَى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه[4]، وويلٌ لمن جعل الله مفاتيح الشرِّ على يديه"؛ فقوله صلى الله عليه وسلم: إنَّ مِن الناس مفاتيح للخير؛ أي: إنَّ الله تعالى أجرى على أيديهم فتح أبواب الخير؛ كالعلم والصلاح على الناس، حتى كأنَّه ملَّكهم مفاتيح الخير ووضعها في أيديهم.

---

(١) المزمل: ٢٠.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان (٢٣/ ٣٩٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٠) برقم (٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب باب فضل عيادة المريض.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٨٦) برقم (٢٣٧) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب من كان مفتاحًا للخير. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٣٠٩).



كما أنَّ الله في عون الذين يقضون حوائج الناس؛ فقد روى مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن نفَّسَ عن مؤمن كربةً مِن كرب الدنيا نفَّسَ الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومَن يسَّرَ على مُعسرٍ يسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"[١].

قوله صلى الله عليه وسلم: والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه: فيه تنبيهٌ على فضيلة عون الأخ على أموره، وإشارة إلى أنَّ المكافأة عليها بجنسها من العناية الإلهية؛ سواء كان بقلبه أم ببدنه، أو بهما معًا لدفع المضار، أو جذب المنافع؛ إذ الكُلُّ عون.

ويُعتبَر التعاون على الخير بين أفراد المجتمع ضرورة إنسانية واجتماعية، لا يستطيع الناس الاستغناء عنها؛ روى مسلم عن النعمان بن بشير- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَثلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم؛ مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد (أي: دعا بعضُه بعضًا إلى المشاركة في ذلك) بالسهر والحُمَّى"[٢].

قال الإمام النووي- رحمه الله-: هذا الحديث صريحٌ في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثِّهم على التراحُم والملاطفة والتعاضُد في غير إثمٍ ولا مكروه[٣].

ويُعَدُّ الإصلاح بين المتخاصمين من أفضل وسائل قضاء حوائج الناس؛ لأنَّه يترتَّب عليه التأليف بين قلوب الناس، وإخماد نار الفتنة، فقد روى البخاري عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما-" أنَّ أباه تُوفِّي وترك عليه ثلاثين وسقًا لرجُلٍ مِن اليهود، فاستنظره جابر فأبى أن يُنظِره، فكلَّم جابرٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له إليه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلَّم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له، فأبى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل فمشى فيها، ثم قال لجابر: جُدَّ له، فأَوْفِ له الذي له، فجَدَّه بعدما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأوفاه ثلاثين وسقًا، وفضلت له سبعة عشر وسقًا، فجاء جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُخبره بالذي كان، فوجَده يُصلِّي العصر، فلما انصرف أخبَره بالفضل فقال: أَخْبِرْ ذلكَ ابْنَ الخَطَّابِ، فذهب جابر إلى عمر فأخبَرَه، فقال له عمر: لقد علِمتُ حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُبارَكَنَّ فيها"[٤].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠) برقم (٦٠١١) كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٩) برقم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٣) الظاهر أن هذا من كلام الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي. ينظر: شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٧) برقم (٢٣٩٦) كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس باب إذا قاص أو جازفه في الدين تمرا بتمر أو غيره.



قال محمد بن واسع: ما رددتُ أحدًا عن حاجة أقدر على قضائها، ولو كان فيها ذَهابُ مالي[١]، وقال محمد بن المنكدر: لمْ يبقَ من لذة الدنيا إلَّا قضاء حوائج الإخوان[٢]، وقال الحسن البصري: لأنْ أقضي لأخٍ لي حاجةً أحبُّ إليَّ مِن أن أعتكف شهرين، قال حكيم بن حزام- رضي الله عنه-: ما أصبحتُ وليس ببابي صاحب حاجة؛ إلَّا علمتُ أنَّها من المصائب التي أسأل الله الأجرَ عليها[٣].

قال أبو العتاهية:

اقْضِ الحوائجَ ما استطعْتَ وكُنْ لِهَمِّ أخيك فارِجْ
فلَخيرُ أيامِ الفتى يومٌ قضَى فيه الحوائج[٤]

الخلاصة: أنَّ لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة؛ فقد قالت عنه السيدة خديجة- رضي الله عنها- عندما عاد من غار حراء:" والله؛ ما يُخزيك الله أبدًا، إنَّك لَتصلُ الرحم، وتصدُق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتُكسب المعدوم، وتُعين على نوائب الحق" رواه البخاري[٥].

فمساعدة الناس تكون سببًا في النجاة مِن المِحَن؛ فلا تبخلْ على إخوانك بالمساعدة فيما وهبك الله، واحتسبْ أجرك عند الله.

---

(١) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا (ص: ٦٤). قضاء الحوائج، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن – القاهرة.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٦/ ٥٣). تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥/ ١٢٥).

(٤) ثواب قضاء حوائج الإخوان (ص: ٨٧). ثواب قضاء حوائج الأخوان وما جاء في إغاثة اللهفان، المؤلف: محمد بن علي بن ميمون، أبو الغنائم النَّرْسِي الكوفي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: د عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م..

(٥) واه البخاري في صحيحه (١/ ٧) برقم (٣) بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. ومسلم في صحيحه (١/ ١٣٩) برقم (١٦٠) كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.



٢٦ رجب

فضل قيام الليل

تُعدُّ صلاة قيام الليل من أفضل الصلوات النوافل وأحبِّها إلى الله عز وجل، وهي سُنَّة مُؤكَّدة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، يمتدُّ وقتها من بعد صلاة العشاء إلى ما قبل الفجر، يُصلِّي فيها المسلم ما شاء من الركعات، ويُستحبُّ له أن يُطيل فيها القراءة والركوع والسجود، مُنيبًا خاشعًا لله تعالى، ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّه لا يقتصر قيام الليل على الصلاة فقط، بل يشمل قراءة القرآن الكريم، والذِّكر من تهليلٍ، وتسبيحٍ، وتحميدٍ، وتكبيرٍ، وغيره، ويحرص المرء أن يكون عمله فيها أقرب إلى الإخلاص، قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم:" أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ الصَّلَاةُ في جَوْفِ اللَّيْلِ" رواه مسلم[١].

واهتمَّ القرآن الكريم اهتمامًا كبيرًا بالحثِّ على صلاة قيام الليل، لما فيها من المنفعة والفضائل الكبيرة التي تعود على الإنسان في الدنيا والآخرة من البركة والعافية وسعة الرزق والسكينة في القلب. قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ؛ أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذُّ عندهم منه وأحبُّ إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى[٣].

وقال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٤].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ؛ أي: كان هجوعهم أي: نومهم بالليل قليلًا، وأمَّا أكثر الليل فإنَّهم قانتون لربهم؛ ما بين صلاة، وقراءة، وذكر، ودعاء، وتضرع[٥].

وقد سُئل سماحة الشيخ ابن باز- رحمه الله- عن فضل قيام الليل فقال: التهجُّد بالليل سُنَّة وقُربة، وأفضله آخر الليل، أفضله السدس الرابع والخامس، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: أفضل الصلاة صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه ويقول صلى الله عليه وسلم:"

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٢١) برقم (١١٦٣) كتاب الصيام باب فضل صوم المحرم.

(٢) السجدة: ١٦- ١٧ .

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٥٥).

(٤) الذاريات: ١٧- ١٨ .

(٥) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٠٩).

ينزل ربُّنا إلى السماء الدنيا كلَّ ليلةٍ حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفر له؟" رواه البخاري[(١)(٢)].

وقيام الليل من العبادات التي لها فضائل تعود على العبد بالنَّفع في دُنياه وآخرته، فقد بيَّنَ الله- تعالى- أنَّ قيام الليل من علامات المتَّقين، وهم يتَّقون بقيام الليل عذابَ الله- تعالى-، ويرجون أن تكون لهم الجنَّة، وهي صفة من صفات عباد الرحمن الصالحين؛ قال- تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[(٣)].

كذلك فضَّلَ الله- تعالى- الذين يقومون الليل على غيرهم من الناس بالأجر والمكانة عنده؛ فقـال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(٤)].

وبيَّنَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ قيام الليل مِن أسباب دخول الجنَّة، وهو وَعدٌ مِن الله لعباده؛ قال صلى الله عليه وسلم: " أيُّها النَّاسُ؛ أفشوا السَّلامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصلُّوا والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسلامٍ" رواه الترمذي[(٥)].

ولا تكون ثمرة قيام الليل في الآخرة فقط؛ فالذي يقوم الليل يشعر بحلاوة ولَذّة، وراحة وسكينة في الدُّنيا أيضًا، ولقد بيَّنَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ قيام الليل سببٌ لتحقيق رحمة الله- تعالى- بالعبد وبالأمَّة؛ قال صلى الله عليه وسلم: " رحمَ اللهُ رجلًا قامَ من الليلِ فصلَّى وأيْقظَ امرأتَه فصلَّتْ، فإنْ أبَتْ نضحَ في وجهِها الماءَ، ورحمَ اللهُ امرأةً قامتْ من الليلِ فصلَّت وأيقظتْ زوجَها فصلَّى، فإنْ أبَى نضحتْ في وجهِه الماءَ " رواه أبو داود والنسائي[(٦)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٣) برقم (١١٤٥) كتاب التهجد باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٢١) برقم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه.

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز (١٠/ ٤٢). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

(٣) الذاريات: ١٥- ١٧.

(٤) الزمر: ٩.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٢٠١) برقم (٢٣٧٨٤). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٢) برقم (٢٤٨٥) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٢٣) برقم (١٣٣٤) كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها باب ما جاء في قيام الليل. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٤٨٥) .

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٣٧٢) برقم (٧٤٠٩). وأبو داود في سننه (٢/ ٣٣) برقم (١٣٠٨) أبواب قيام الليل باب قيام الليل. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ١١٥) برقم (١٣٠٢) كتاب قيام الليل وتطوع النهار الترغيب في قيام الليل. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٢٤) برقم (١٣٣٦) كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ٣٠٨).



ولقد اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بقيام الليل، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتَّى تتورَّم قدماه، وقد كان يجتهد اجتهادًا عظيمًا لأدائها، حريصًا على الالتزام بها، جاء في الحديث:" أنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هذا يا رَسولَ اللَّهِ، وقدْ غَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ؟ قالَ: أفلا أُحِبُّ أنْ أكُونَ عَبْدًا شَكُورًا، فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أرَادَ أنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ" رواه البخاري[١].

ومن آداب قيام الليل:

١- النية: فإن لم تستيقظْ كُتِبَ لك ثوابُ القيام؛ يقول صلى الله عليه وسلم:" إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لكُلِّ امرئٍ مَا نَوَى"متفق عليه[٢].

٢- الوضوء بعد الاستيقاظ مباشرة، واستخدام السِّواك.

٣- افتتاح القيام بركعتين خفيفتين، ثم الصلاة بعدهما ما يشاء.

٤- الصلاة على قدرِ الاستطاعة؛ لقولِهِ تعالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٣]، فإذا غلب الإنسانَ النوم نام، حتى يعرف ما يقول في صلاته.

٥- الدعاء عند القيام بدعاءِ النبي صلى الله عليه وسلم:" اللَّهُمَّ اجعلْ في قلبِي نورًا، وفي بصرِي نورًا، وفي سمعي نورًا، وعنْ يميني نورًا، وعنْ يساري نورًا، ومن فوقِي نُورًا، ومن أمامي نورًا، وأعظمْ لِي نورًا" رواه مسلم[٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٣٥) برقم (٤٨٣٧) كتاب تفسير القرآن باب {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما} [الفتح: ٢].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٦) برقم (١) بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥١٥) برقم (١٩٠٧) كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال.

(٣) البقرة: ٢٨٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٢٥) برقم (٧٦٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.



وختامًا؛ إليك بعض الوصايا التي تُعينُك على قيام الليل:

١- هجْر الذّنوب: يقول سفيان الثّوريّ: حُرِمتُ قيام الليل خمسة أشهر لذنب أذنبتُه. قيل له: وما هذا الذّنب؟ قال: رأيتُ رجلًا يبكي فقلتُ: هذا مُرَاءٍ[١]. وقال الحسن بن علي: إذا لم تقدرْ على قيام الليل وعلى صيام النهار؛ فاعلم أنَّك محرومٌ، وقد كثُرتْ ذنوبُك[٢].

٢- التفكُّر في أهوال الآخرة: قال طاووس: إنَّ ذِكْر جهنَّم طيَّر نوم العابدين[٣].

٣- عدم الإكثار من الطعام: قال بعض الصالحين: كم من أكلةٍ منعتْ قيام ليلة، وكم من نظرة منعتْ قراءة سورة، وإنَّ العبد ليأكل أكلة، أو يفعل فِعْلة؛ فيُحرَم بها قيام سَنَة، وكما أنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات[٤].

٤- القيلولة: يُروَى أن الحسن كان إذا دخل السوق فسمع لَغَطَهُمْ ولغوهم، قال: أظنُّ أنَّ ليل هؤلاءِ ليلُ سوءٍ، فإنَّهم لا يقِيلون[٥].

ونصيحة من ناصح أمين: لا تبدأ قيام الليل كلَّه، أو نصفه أو ثلثه مرَّةً واحدةً، ولكن عليك بالتدرُّج؛ لأنَّ الرَّسول صلى الله عليه وسلم يقول:" إنَّ هذا الدِّين متينٌ؛ فأَوْغلوا فيه برفق" رواه أبو داود[٦].

وأخيرًا: قال الشاعر:

أَيُّها الرَّاقِدُ ذا اللَّيلَ التَّمَام ... قُم بِجِدٍّ فَالليالِي فِي انصِرام

وَتَقَرَّب بِصَلاةٍ وَصِيـام ... ابتَهِـل لِلَّهِ فـي جُنـحِ الظَّلام

فَعَسَى تَلْحَقُ بِالقَومِ الكِرَام[٧]

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٦) .

(٢) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٩٦) .

(٣) ينظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص: ٣٧). التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: بشير محمد عيون، دار النشر: مكتبة المؤيد - الطائف، دار البيان — دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ — ١٩٨٨.

(٤) إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٦).

(٥) حسن التنبه لما ورد في التشبه (٦/ ١٠٤). حسن التنبه لما ورد في التشبه «وهو كتاب فريد في بابه يشتمل على بيان ما يتشبه به المسلم وما لا يتشبه به»، المؤلف: نجم الدين الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي (المولود بدمشق سنة ٩٧٧ هـ، والمتوفى بها سنة ١٠٦١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ٣٤٦) برقم (١٣٠٥٢). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٤٤٧).

(٧) ينظر: مجموعة القصائد الزهديات (٢/ ٣٦٢). مجموعة القصائد الزهديات، المؤلف: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (ت ١٤٢٢هـ)، الناشر: مطابع الخالد للأوفسيت — الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.



٢٧ رجب
فضل اللغة العربية

حظيت اللغة العربية بشرفٍ عظيمٍ؛ إذ تنزَّل بها الكتاب الكريم، كتاب ربِّ العالمين، على الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان أفصح البشر لسانًا، فزاد مِن شرف اللغة العربية أنَّها كانت لغته صلى الله عليه وسلم التي مكَّنه الله- عز وجل- منها أيَّما تمكُّنٍ، وكان صحابته الكرام وسلف الأمة- رضوان الله عليهم- على النهج ذاته في العناية باللغة العربية تكريمًا وعناية وتشريفًا.

وعندما نتأمَّل عناية القرآن الكريم باللغة العربية نجد عدَّة آيات تنصُّ على نزول القرآن عربيًّا، وهو شرفٌ أيُّ شرفٍ لهذه اللغة، أن تكون اللغة التي اصطفاها الله- عز وجل- لمخاطبة عباده، حيث وُصف القرآن بكونه عربيًّا في ست آيات، منها قوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾[2]، كما جاء وصفه باللسان العربي في قوله تعالى: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ﴾[3]، وجاء تفصيل كونه عربيًّا وليس أعجميًّا في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾[4]، والحاصل من ذلك أنَّ مجموع ما ورد من ألفاظ العربية في وصف القرآن إحدى عشر آية تدلُّ على شرف اللغة العربية، دلالة لا يُنكرها إلَّا مُكابرٌ أو جاحِدٌ. قال الفراء: وجدنا للغة العرب فضلًا على لغة جميع الأمم اختصاصًا من الله تعالى وكرامة أكرمهم بها، ومن خصائصها أنَّه يوجد فيها من الإيجاز ما لا يوجد في غيرها من اللغات[5].

---

(١) يوسف: ١- ٢ .

(٢) الزمر: ٢٧- ٢٨.

(٣) النحل: ١٠٢- ١٠٣.

(٤) فصلت: ٤٤.

(٥) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (١/ ١٨٤). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.



قال ابن شبرمة: إذا سرَّك أن تعظم في عين مَن كنتَ في عينه صغيرًا، أو يصغر في عينك مَن كان فيها كبيرًا؛ فتعلَّم العربية، فإنَّها تُجرِّئُك على المنطق، وتُدنيك من السلطان، قال الشاعر:

اللحنُ يُصلِح مِن لسان الألكنِ ... والمــرءُ تُعظِّمــه إذا لم يلحـــنِ
ولحـنُ الشـريف محطَّـةٌ مـن قـدره ... فـتراه يسـقط مـن لحـان الأعـينِ
وتـرى الـدنيِّ إذا تكلَّـم مُعـربًا ... حــازَ النهايــة باللســانِ المعلــنِ
وإذا طلبتَ مــــن العلوم أجلَّها ... فأجلُّها منهـــا مقيم الألسنِ(١)

واللغة العربية من أهمِّ لغات الأرض اليوم، فهي لغة المسلمين الأولى، والمسلمون اليوم يزيدون عن مليار نسمة، وهي اللغة الرسمية لثمانية وعشرين دولة عربية تمتدُّ هذه الدول بين قارَّتَين، ومعظمها دولٌ مُؤثِّرة في القرارات الدولية الكبيرة، وتُشكِّل اللغة العربية اللغة الرسمية للمؤتمرات والاجتماعات الدولية الكبرى بين هذه الدول.

أمَّا في سابق السنين فأهمية اللغة العربية لا تقلُّ عن أهميتها اليوم أبدًا، فهي لغة التراث، ولغة كتب التفسير القرآني، ولغة الأدب والعلم الحقيقي؛ الذي صدَّره العرب للشعوب أجمعها في العصور الوسطى، هي لغة حاضرة المشرق أيام العبَّاسيين، ولغة قرطبة حاضرة الأندلس، ملتقى الأدب والأدباء، والعلم والعلماء، مجتمع كلِّ ذي علمٍ في ذلك الزمن، لقد كانت اللغة العربية- ولما تزلْ- لغة من أهمِّ وأشهر اللغات في هذا العالم، فهي الأقدر على التعبير، وهي الأفصح لسانًا والأبلغ والأجمل والأرهف أيضًا، لغة الشعراء العرب، والخطباء والفصحاء العرب؛ الذين ذاع صيتهم في الأمصار قبل الإسلام، ولغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بعد ظهور الإسلام، لغة الفاتحين الذين دانتْ لهم الأرض، ولغة العلم والعلماء والمعلِّمين الأوائل من علماء المسلمين عبر السنين، كما أنَّها من اللُّغات التي ظلَّت مُحافظة على قواعدها اللغوية حتَّى هذا الوقت؛ لأنَّها لغة الإسلام والمسلمين والقرآنِ الكريم، كما أنَّ الثّقافة العربية غنية جدًّا بالعديد من المؤلَّفات، سواءً الأدبية، أو العلمية، أو غيرها، والتي كُتِبتْ بِلُغَة عربية فصيحة.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٢٩). الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب. وينظر أيضًا للأبيات:الدر الفريد وبيت القصيد (٤/ ١٩١). الدر الفريد وبيت القصيد، المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠ هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م.



كما أنَّ للغة العربية أهميةً كبيرةً في الثقافة والتراث والأدب العربي؛ لأنَّها تُعتَبر جزءًا من الحضارة العربية، وتُعدُّ اللغة العربية من اللغات الإنسانية السامية، والتي ما زالت محافظةً على تاريخها اللغوي والنحوي منذ قديم الزمان. كما تُعتَبر اللغة العربية لغة العديد من الشعوب والقبائل، مثل ثمود، وعاد، وغيرهم، وساهم ذلك في انتشارها في الجزيرة العربية وبلاد الشام. ولقد ساهمت اللغة العربية في نهوض العديد من الحضارات، وخصوصًا الأوروبية، ممَّا أدى إلى تشجيع الأوروبيين لتعلُّمها وفهمها للتعرُّف على حروفها وكلماتها، وتتمتَّع اللغة العربية بخصوصية لغوية تجعلها تتميَّز عن اللغات العالمية الأُخرى، والتي تظهر في بيانها ووضوح مفرداتها وكلماتها؛ لأنَّها تَستخدم العديد من الكلمات اللغوية في اللغات السامية كلمات ذات أصل عربي، ممَّا ساهم في تعزيز التقارب بين اللغة العربية واللغات العالمية الأُخرى.

ومن المميِّزات الأساسية للغة العربية أنَّ نظام النطق فيها من أهمِّ أنظمة الكلام اللغوي، فيستخدَم اللسان، والحلق، والحنجرة من أجل نُطْق الحروف والكلمات بناءً على أصواتها، وتُقسَّم الأصوات في اللغة العربية إلى مجموعة من الأقسام، مثل أصوات الإطباق، وأصوات الحنجرة، وغيرها. وأيضًا من المفردات وهي الكلمات التي تتكوَّن منها اللغة العربية، ويُصنَّف المعجم اللغوي الخاص فيها بأنَّه من أكثر المعاجم اللغوية الغنية بالمفردات والتراكيب؛ فيحتوي على أكثر من مليون كلمة، وتُعتَبر المفردات الأصلية في اللغة العربية عبارة عن جذور ثلاثية للكلمات الأُخرى، فينتج الجذر اللغوي الواحد العديد من الكلمات والمفردات.

ومن المميِّزات اللفظ: وهي الطريقة التي تُنطَق فيها كلمات اللغة العربية، وتُلفَظ الكلمات بالاعتماد على استخدام حركات لغوية، ويُطلَق عليها مُسمى التشكيل، ويتغيَّر اللفظ الخاص في كلِّ كلمةٍ بناءً على طبيعة تشكيلها؛ أي الحركات المكتوبة على حروفها، كما أنَّ اللفظ يشمل التهجئة الخاصة في الحروف، والتي يتعلَّمها كلُّ شخصٍ يُريد تعلُّم العربية؛ حتى يسهل عليه فهمها، والتعامل مع كلماتها وجملها بطريقة صحيحة.

ومن مُميِّزاتها أيضًا الصرف: وهو الأسلوب المرتبط بالمفردات؛ إذ يعتمد على نظام جذور الكلمات التي تكون ثلاثيةً في الغالب، وقد تصبح رباعية في بعض الأحيان، كما تتميَّز اللغة العربية عن الكثير من اللغات الأُخرى بوجود صيغ للكلمات الخاصة بها، فمن الممكن تحويل الكلمة المفردة إلى مثنى، أو جمع، وغيرها من الطُرق التي تستخدمها اللغة العربية في تصنيف الكلمات.



والنحو: هو أساس الجملة في اللغة العربية، وتُقسَّم الجُمل العربية إلى نوعين، وهما: الجملة الاسمية، والجُملة الفعلية، ولكلٍّ نوعٍ أُسس وقواعدُ نحوية يجب استخدامها في كتابتها وصياغتها حتى تُساهم في نقل الأفكار الخاصة بها، وأيضًا يعتمد النحو في اللغة العربية على استخدام مجموعة من الأدوات التي تربط بين الجمل، والعديد من الوسائل الأُخرى التي تحافظ على سلامة مبناها؛ لذلك تُصنَّف اللغة العربية كواحدةٍ من اللغات التي تحتفظ بنظام نحوي خاص بها، ويُساعد في إعراب جُملها وبيان طُرق كتابتها.

وأجمل ما نختم به ما ذكره الرافعي: إنَّ هذه العربية بُنيتْ على أصلٍ سحري؛ يجعل شبابها خالدًا عليها فلا تهرم ولا تموت، لأنَّها أُعِدَّتْ من الأزل فَلكًا دائِرًا للنيِّرَين الأرضيين العظيمين: كتاب الله وسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومِن ثَمَّ كانت فيها قوة عجيبة من الاستهواء كأنَّها أخذة السحر(١).

---

(١) تحت راية القرآن (ص: ٢٦). تحت راية القرآن، المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، الناشر: المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.



٢٨ رجب
فضل المدينة

تُعتبَر المدينة المنوَّرة واحدة من أهمِّ المدن الإسلامية حول العالم، فهي العاصمة الأولى للدولة الإسلامية التي تأسَّست على يد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، كما تُعتبَر أيضًا ثاني أقدس المدن بعد مدينة مكَّة المكرَّمة.

وتقع المدينة المنوَّرة اليوم في المملكة العربية السعودية، وتحديدًا في منطقة الحجاز، حيث تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة مكَّة المكرَّمة، وتبعد عنها قرابة أربعمائة كيلومتر تقريبًا، كما تقع أيضًا إلى الجهة الشرقية من البحر الأحمر. وقد عُرفت المدينة المنوَّرة بفضائلها العظيمة بين المسلمين، والتي تميَّزت بها عن باقي مناطق العالم.

كما تتَّسم المدينة المنوَّرة بطابعٍ إسلامي مُتميِّز، وفيها العديد من المعالم التي يزورها المسلمون، ويعتبرونها من أهمِّ الأماكن التي يجب أن يذهبوا لزيارتها عند ذهابهم إلى المدينة المنوَّرة، والمعلم الأبرز فيها والذي لا يُمكن مقارنته بأي شيء هو المسجد النبوي الشريف؛ الذي بُني لأوَّل مرَّة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تُشدُّ الرحال إليها، وتُعادل الصلاة فيه أكثر من ألف صلاة، ويتميَّز بتصميم إسلامي بالغ الروعة، وفيه المآذن الجميلة، والمصابيح التي تُضيء جميع أرجاء المسجد، وتضمُّ المدينة المنورة قبور أكثر من سبعين من الصحابة- رضوان الله عليهم-، ومسجد قباء الذي يُعدُّ من أشهر معالم المدينة المنوَّرة، فهو أوَّل مسجد بُني في الإسلام، وكان ذلك في عام ستمائة واثنين وعشرين ميلادية، ووضع النبي صلى الله عليه وسلم حجر الأساس له، وله محراب رائع ومآذن رخامية، وهو اليوم يتَّسع إلى أكثر من خمسة آلاف مُصلٍّ، أمَّا مسجد ذي القبلتين فهو المسجد الوحيد من بين جميع المساجد الذي تمَّت الصلاة فيه باتجاه القبلتين، حين تمَّ تغيير القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة الشريفة، ويعود تاريخ بنائه إلى عام ستمائة وثلاثة وعشرين ميلادية، وله لونٌ أبيض ناصع. ولقد هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنوَّرة، التى شرُفت بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها، وأُطلق اسم المدينة المنوَّرة على مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد تم وصفها بالمنوَّرة لأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم نوَّرها عندما قدم إليها، ونُـوِّرتْ بما جاء بها من الشرع والهُدى، وقد أُطلق على المدينة المنوَّرة العديد من الأسماء منها:



العاصمة، والمحرَّمة، وطيبة، وطابة، والعذراء، والمسكينة، والمحبَّة، والجابرة، والمجبورة، ويثرب، والمباركة، والقدسية، والمرزوقة، والمختارة، وغيرها الكثير من الأسامي المباركة.

وقد وردت النصوص الكثيرة في فضلها، وحُرمتها، ومكانتها، إخبارًا ودعاءً، وترغيبًا وترهيبًا؛ منها: أنَّ الله جعلها حَرَمًا: فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقاصٍ– رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" إِنِي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ، أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا، أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا، وَقَالَ: الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَدَعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَ اللهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا، أَوْ شَهِيدًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه مسلم(١).

وفي حديث أبي سعيد الخدري– رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا، أَلَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ" رواه مسلم(٢).

وفي هذا الحديث دليلٌ على تحريم المدينة، وأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حرَّمها بتحريم الله تعالى لها كما حرَّم إبراهيم– عليه السلام– مكَّة، ودعا لأهلها بالبركة وسعة العيش؛ حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾(٣)، قال الشيخ ابن باز– رحمه الله–: ومَن سكن المدينة يعرف ذلك، يعرف ما فيها من البركة في طعامها وشرابها، وما يحصل لأهلها من الكفاية بالقليل، ولا سيما في حقِّ أهل الإيمان والتقوى(٤).

ومنها: أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سمَّاها طيبة وطابة، روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنتِ قَيسٍ– رضي اللهُ عنها– عن النبي صلى الله عليه وسلم:" هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ يَعْنِي الْمَدِينَةَ"(٥).

قال ابن حجر– رحمه الله–: والطاب والطيب لغتان بمعنى، واشتقاقها من الشيء الطيِّب، وقيل: لطهارة تُربتها، وقيل: لطيبها لساكنها، وقيل: من طيب العيش بها(٦).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٩٩٢) برقم (١٣٦٣) كتاب الحج باب فضل المدينة، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠١) برقم (١٣٧٤) كتاب الحج باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها.

(٣) البقرة: ١٢٦ .

(٤) لم أقف عليه في كتب الشيخ رحمه الله. لكن ينظر موقع الألوكة:

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٦٢) برقم (٢٩٤٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب قصة الجساسة.

(٦) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٨٩).



ومنها: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه وصفها بأنَّها قَرْيَةٌ تَأْكُلُ الْقُرَى، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ"(١)، والمراد بـ"تَأْكُلُ الْقُرَى" أي: ينصر الله الإسلام بأهل المدينة ويفتح على أيديهم القرى، فتجلب الغنائم إلى المدينة ويأكل أهلها، وأضاف الأكل إلى القرية والمراد: أهلها.

ومنها: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء لها بالبركة، روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ مَا مِنَ الْمَدِينَةِ شِعْبٌ وَلَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهَا حَتَّى تَقْدَمُوا إِلَيْهَا"(٢).

ومن فضائلها: أنَّه لا يدخلها الطاعون ولا الدجَّال، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ"(٣).

ومنها: أنَّ في المدينة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو من المساجد التي لا تُشَدُّ الرحال إلَّا إليها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ- صلى الله عليه وسلم-، وَالمِسْجِدِ الْأَقْصَى"(٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٠) برقم (١٨٧١) كتاب فضائل المدينة باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠٦) برقم (١٣٨٢) كتاب الحج باب المدينة تنفي شرارها.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠١) برقم (١٣٧٤) كتاب الحج باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٢) برقم (١٨٨٠) كتاب فضائل المدينة باب لا يدخل الدجال المدينة. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠٥) برقم (١٣٧٩) كتاب الحج باب صيانة المدينة من دخول الطاعون، والدجال إليها.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٦٠) برقم (١١٨٨) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١٤) برقم (١٣٩٧) كتاب الحج باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.

والصلاة فيه مُضاعَفة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ– رضي اللهُ عنه– أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ"(١).

ومنها: فضل الروضة الشريفة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ– رضي اللهُ عنه– أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي"(٢). قال ابن حجر: وفي الحديث إشارة إلى الترغيب في سُكنى المدينة. وقوله: "رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ" أي: في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من العبادة فيها المؤدِّية إلى الجنة، أو أنَّ المراد روضة حقيقية بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة(٣).

قال الشاعر:

أنا المدينة مَن في الكون يَجهلُني ... ومَن تراه درى عنِّي وما شغلا حتَّى

تتلمَّذَ المجدُ طفلًا عند مدرستي ... تخـرَّجَ منها عالِمًا رجُلا

فتحتُ قلبي لخيرِ الخلقِ قاطبةً ... فلم يُفارقْه يومًا منذُ أن دخلا واسمي

وصـرتُ سيدة الدنيا به شرفًا ... لكلِّ حدودِ الأرضِ قد وصلا(٤)

الخلاصة: حبُّ الأنصار من علامات الإيمان، وبُغضهم من علامات النفاق، وحذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من التعرَّض لهم بأذى، وأنَّ مَن يقوم بذلك يكون قد عرَّض نفسه للانتقام من الله، وقد حثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على سُكنى المدينة المنوَّرة، وأخبر أنَّه سيشفع لمِن سكنها، وصبر على شِدَّتها، ومات فيها، وأخبر عن أقوامٍ سيسعون للانتقال منها، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٦٠) برقم (١١٩٠) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١٢) برقم (١٣٩٤) كتاب الحج باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٦١) برقم (١١٩٦) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب فضل ما بين القبر والمنبر. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١١) برقم (١٣٩١) كتاب الحج باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة.

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤/ ١٠٠).

(٤) الأبيات للشاعر عبد المحسن بن حليت. ينظر http://saleh4.blogspot.com/2016/07/blog-post.html .



٢٩ رجب

فضل المشي في حاجة الناس

اصطفى اللهُ تعالى مكَّةَ المكرَّمةَ مِن بين بقاعِ الأرضِ ليكونَ فيها بيته الحرام، وَيتوجَّه إليه المسلمون من سائرِ أنحاء الأرض، ولهذَا الحرمِ أهميته عند اللهِ- عز وجل-، فقد ذكره الله تعالى فِي القرآنِ الكريمِ بأسماء عديدة؛ وهي: مكَّةُ، وبكَّةُ، وأمُّ القُرى، والبلد الأمين، والبلد، والبلدة، والمسجد الحرام، وما تعدَّدت هذه الأسماءِ إلَّا دليلًا على شرفِ المسَمَّى وَعِظَمِ مكانتِه عندَ اللهِ تعالى، وقد أشار بعضُ العلماءِ إلى أسماءٍ أخرى كثيرة لمكَّة المكرَّمة، ومكَّة هي مولد النبي الأمين صلى الله عليه وسلم الذي أضاء الكون عدلًا، ومسرى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ومسكنه فهي أحبُّ البقاع إليه، وأحبُّ مَن وطأتْ قدمه، بها أدَّى الأمانة، وبلَّغ الرسالة، وجمع القلوب؛ لتُجلى بجلاء الإيمان، وتُنقَّى من الخبث والدنس، في مكَّة كلُّ شيءٍ يحنُّ للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد أنزله الله للناس رحمة لأهل مكَّة ولمخلوقاتها ولكلِّ شيءٍ فيها.

يقولُ ابنُ القيّم- رحمه الله- في كتابه زاد المعادِ: وَمِن هذا اختيارُه سبحانه وتعالى من الأماكِنِ والبلادِ خَيْرَها وأشرَفَها، وهي البَلَدُ الحرامُ؛ فإنَّه سبحانه وتعالى اختاره لنبيّه صلى الله عليه وسلم، وجعله مناسِكَ لعبادِه، وأوجب عليهم الإتيانَ إليه من القُربِ والبُعدِ؛ مِن كُلِّ فَجٍّ عميقٍ[١].

وتوصَّل أحدُ الباحثين إلى أنَّ مكَّةَ المكرَّمةَ هي مركزُ الأرضِ، وَتُعتبَر منتصفَ العالِمِ، أي أنَّ الأرضَ اليابسةَ على سطحِ الكرةِ الأرضيةِ مُوزَّعة حولَ مكَّة المكرَّمةَ، توزيعًا مُنتظمًا، والخالق عزَّ وجلَّ فضَّل بعض المخلوقات على بعض، واختار منها ما شاء، ومن الأماكن الفاضلة- التي فَضَّلَهَا الله على غيرها- مكة، البلد الأمين مهبط الوحي، ومنبع الرسالة، وهي البلد الذي أقسم الله به فقال: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[٢]. قال ابن كثير: هذا قسَمٌ من الله تعالى بمكَّة أمِّ القُرى في حال كون الساكن فيها حالًّا ليُنبِّه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها[٣]، قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾[٤].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٧) .

(٢) البلد: ١- ٢.

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٢).

(٤) التين: ٣.

وقد وردت نصوص كثيرة في فضلها وحُرمتها؛ فمن ذلك: أنَّ فيها بيت الله العتيق أوَّل بيتٍ وُضِع للناس، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾(١). وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ- رضي اللهُ عنه- قَالَ:" سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ عَامًا"(٢).

ومنها: أنَّ الله جعلها حَرَمًا آمنًا لا يُسْفَك فيه دم، ولا تعضد به شجرة، ولا ينفر له صيد، ولا يختلى خلاه، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس إلَّا. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي شُرَيْحٍ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِيهَا فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ"(٣).

ومن فضائلها: ما ورد في فضل الصلاة في المسجد الحرام، فقد روى الإمام أحمد في مسنده مِن حَدِيثِ جَابِرٍ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ"(٤)، وقد بحث أهل العلم هنا مُضاعَفة الصلاة: هل هي في الحَرَم كلِّه؟ وهل سائر الحسنات كذلك؟

فأمَّا المسألة الأولى ففي الحديث السابق وهو قَولُهُ صلى الله عليه وسلم:" وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ". ونصوص القرآن والسُّنَّة التي ذُكِرَ فيها المسجد الحرام إنَّما عُنِيَ به الحَرَم كلُّه، كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾(٥).

---

(١) آل عمران: ٩٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٥) برقم (٣٣٦٦) كتاب أحاديث الأنبياء باب بدون ترجمة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠) برقم (٥٢٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٢) برقم (١٠٤) كتاب العلم باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٧) برقم (١٣٥٤) كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ٤٦) برقم (١٤٦٩٤). وابن ماجه في سننه (١/ ٤٥١) برقم (١٤٠٦) كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٣/ ٤٠٤).

(٥) البقرة: ١٩٦.



وأمَّا المسألة الثانية: فقد وردت آثارٌ عن السلف بالمضاعَفة لجميع الأعمال الصالحة، ومَن تأمَّل قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾[(١)]؛ أيقن أنَّ تعظيم حرمة الحَرَم تدلُّ على فضله. قال الشيخ ابنُ باز- رحمه الله-: وبقية الأعمالِ الصالحةِ تُضاعَف-أي: في الحرم- ولكِن لم يَرِدْ فيها حدٌّ محدودٌ، إنَّما جاء الحدُّ والبيانُ في الصَّلاةِ، أمَّا بقيَّةُ الأعمالِ الصَّالحةِ كالصَّومِ والأذكارِ وقِراءةِ القُرآنِ والصَّدَقاتِ، فلا أعلَمُ فيها نصًّا ثابتًا يدُلُّ على تضعيفٍ محَدَّدٍ[(٢)].

ومنها: أنَّ الله أخبر أنَّها أمُّ القُرى كما في قَولِهِ تَعالَى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾[(٣)]. فالقُرى كلُّها تبعٌ لها وفرعٌ عليها.

ومنها: أنَّها قِبلةٌ لأهل الأرض كلِّهم فليس على وجه الأرض قِبلةٌ غيرها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾[(٤)]. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أُسَامَةَ بنِ زَيدٍ- رضي اللهُ عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا خَرَجَ مِنَ البَيتِ، رَكَعَ فِي قُبُلِ البَيتِ رَكعَتَينِ، وَقَالَ: "هَذِهِ الْقِبْلَةُ"[(٥)].

ومنها: الأمن لداخِل الحرم، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[(٦)]. وهذا إمَّا خبرٌ بمعنى الأمر لاستحالة الخُلف في خبره تعالى، وإمَّا خبرٌ عن شرعه ودينه الذي شرعه في حرمه، وإمَّا إخبارٌ عن الأمر المعهود المستمر في حرمه في الجاهلية والإسلام، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾[(٧)].

---

(١) الحج: ٢٥ .

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٣٨٨) .

(٣) الشورى: ٧.

(٤) البقرة: ١٤٩ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨٨) برقم (٣٩٨) كتاب الصلاة باب قول الله تعالى: {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى} [البقرة: ١٢٥]. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٦٨) برقم (١٣٣٠) كتاب الحج باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره، والصلاة فيها، والدعاء في نواحيها كلها.

(٦) آل عمران: ٩٧ .

(٧) العنكبوت: ٦٧ .



ومنها: أنَّه يحرُم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر البقاع، لِقَولِهِ- صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيحين مِن حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ الأَنصَارِيِّ- رضي اللهُ عنه-:" إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا بِبَولٍ وَلَا غَائِطٍ، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا" رواه البخاري(١).

ومنها: أنَّ الله اختارها لمناسك الحج، وجعل القصد إليها عبادة؛ تُرفَع بها الدرجات، وتُمحَى بها السيئات، كما جاء في الصحيحين مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ" رواه البخاري(٢).

ومنها: أنَّ مكَّة خيرُ البلاد وأحبُّها إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقد روى الترمذي في سننه مِن حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بنِ عَدِيٍّ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ"(٣).

ومنها: أنَّ الله تعالى عطف القلوب إلى بيته الحرام وجعله مثابة للناس، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾(٤). أي: يثوبون إليه على تعاقُب الأعوام من جميع الأقطار، ولا يقضون منه وطرًا، بل كلَّما ازدادوا زيارة له؛ ازدادوا له اشتياقًا(٥)، قال الشاعر:

لَا يَرجِعُ الطَّرفُ عَنهَا حِينَ يَنظُرُهَا ... حَتَّى يَعُودَ إِلَيهَا الطَّرفُ مُشْتَاقًا(٦)

وختامًا؛ وممَّا يدلُّ على فضلها ومكانتها: ما جاء في المعاقبة على الهمِّ بالسيئة فيها وإن لم تُفعَلْ، لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٧). قال الشيخ عبد الرحمن السعدي- رحمه الله-: فمجرد الإرادة للظلم والإلحاد موجبٌ للعذاب، وإن كان غيره لا يُعاقَب العبد عليه إلَّا بعمل الظلم، وفي الآية الكريمة: وجوب احترام الحرَم، وشدَّة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفِعْلها(٨).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨٨) برقم (٣٩٤) كتاب الصلاة باب قبلة أهل المدينة وأهل الشأم والمشرق. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٤) برقم (٢٦٤) كتاب الطهارة باب الاستطابة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣٣) برقم (١٥٢١) كتاب الحج باب فضل الحج المبرور. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٣) برقم (١٣٥٠) كتاب الحج باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣١/ ١٠) برقم (١٨٧١٥). والترمذي في جامعه (٥/ ٧٢٢) برقم (٣٩٢٥) أبواب المناقب باب في فضل مكة. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٢٤٨) برقم (٤٢٣٨) كتاب المناسك، فضل مكة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٣٧) برقم (٣١٠٨) كتاب المناسك باب فضل مكة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٤٢٥).

(٤) البقرة: ١٢٥.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٥١).

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٥١).

(٧) الحج: ٢٥.

(٨) ينظر: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٣٦- ٥٣٧).



٣٠ رجب
الصحبة الصالحة

إنَّ صحبة الصالحين الأخيار تُعين على الطاعة وتحضُّ على العبادة، فالصاحب الصالح ينصح صاحبه ويحثُّه على فعل الخيرات وينهاه عن المنكرات، وقد يقوم المرء بترْك فعْلٍ ما حياءً من أصحابه الصالحين، ولكن يكون ذلك فيما بعدُ سببًا لالتزامه بطاعة، أو إقلاعه عن ذنبٍ بشكلٍ دائمٍ ومستمرٍّ، وقد أمر الله- تعالى- بمصاحبة ومجالسة الأخيار، حيث قال سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾(١)، فهؤلاء يسعون في نشر الفضائل والعلوم، ومَن جالسهم انتفع بهم واهتدى بهديهم.

إنَّ صحبة الأخيار والصالحين لها العديد من الفوائد وتشمل ما يلي: إنَّ الصحبة الصالحة تُقوِّي الدافع نحو طاعة أوامر الله وتوجيه النفس وتهذيبها، وتساعدك على الحثِّ بترْك الدنيا وحُطامها. والصحبة الصالحة تُعزِّز بنفسك حب الخير. فعندما تصاحب صاحبًا صالحًا؛ فإنَّه يزيد بداخلك الرغبة في الوصول إلى ما وصل إليه.

أمَّا رفيق السوء فيحرمك من ذلك كلِّه، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾(٢).

فما هي فوائد الصحبة الصالحة في الدنيا؟ إنَّ من فوائد تلك الصُّحبة:

١- الإعانة على الطاعة: تُعين الصُّحبة الصَّالحة المسلم على الالتزام في طريق الاستقامة، فالصَّديق الصَّالح يكون بمثابة مُنبِّهٍ لصاحبه؛ فيُذكِّره بأعمال الخير ويدلُّه عليها باستمرار، كما يُساعد صديقه على أن يقوم بالطَّاعات على أتمِّ وجهٍ، ويُذكِّره بالجزاء والنَّعيم الذي أعدَّه الله تعالى لهم إن سلكوا هذا الطَّريق، كمَن اتَّخذ صاحبًا يُعينه ويُشجِّعه ويوقظه على صلاة الفجر، فما مِن مسلم غيورٍ يرى أهل الصَّلاح يتنافسون على فعل الخير إلَّا أصابه شعور أن يكون مثلهم، فتقوى عزيمته على مجاراتهم وفعل الطَّاعات ليصل إلى ما وصل إليه هؤلاء الصَّالحون، وإنَّ المرء يكون على دين خليله.

---

(١) الكهف: ٢٨.

(٢) الفرقان: ٢٧-٢٩ .



٢- تصحيح سلوكيات النفس: إنَّ من شأن الصُّحبة الصَّالحة أن تُعطي صاحبها همَّةً ودافعًا للتَّغيير نحو الأفضل، وتصحيح سلوكيات النَّفس التي اعتاد عليها؛ لأنَّ مَن خالط إنسانًا سليم الطِّباع تعلَّم منه كيف يكون سلوك المسلم الصَّحيح، فإن فَعَلَ ما هو مخالفٌ أمامهم نَظَرَ إلى نفسه بازدراء، فيحرص على ترْك المعاصي والمنكرات.

٣- التنافُس في الخيرات: تغرس صحبة الأخيار في نفس صاحبها حبَّ الخير وحبَّ المنافسة في أمور الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّ الإنسان بطبعه مجبولٌ على حبِّ المجاراة، فلا يرى أحدًا أخير منه إلَّا وأحبَّ أن يفعل كما فعل، فتكون الصُّحبة الصَّالحة دافعًا لهم ليتنافسوا في ما هو خيرٌ لهم، كمن يتنافسون على نيل أعلى الدَّرجات والعلامات عند طلب العلم، فتكون تلك الصُّحبة سببًا في التَّسابق لنيل المعارف والعلوم، وتكون سببًا للتَّحلِّي بأفضل الأخلاق وأحسن الأعمال.

٤- الحصول على بركة الصالحين: ينال المسلم من مجالسة الصالحين بركةً؛ فلا يقوم من مجالسهم دون أن يكسب خيرًا، وقد شبَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصَّاحب الصَّالح كحامل المسك، فالجلوس معه كلُّه خيرٌ، إمَّا أن نشتري منه، وإمَّا أن يضع لنا شيئًا من الطِّيب، وإن لم نستفد من هذا ولا ذاك؛ فإنَّنا نشتمُّ منه رائحةً زكيَّةً. وقد ورد هذا في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السَّوْءِ؛ كَحامِلِ المِسْكِ ونافِخِ الكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ: إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وإمَّا أنْ تَبْتاعَ منه، وإمَّا أنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ: إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً" رواه مسلم(١).

٥- تقوية صفِّ المسلمين وتوحيد كلمتهم: إذا كان كلُّ مسلمٍ مُنغمِسًا في مجموعةٍ من الصَّالحين، فإنَّ الشَّيطان ليس له سبيلٌ عليهم، فلا يوسوس لهم بترْك الطَّاعات وإتيان المنكرات؛ لأنَّه لو قوي على أحدهم لن يقوى على الآخر، لأنَّهم يُحبُّون الخير لبعضهم، فيكونون كأنَّهم جسدٌ واحدٌ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" عليكمْ بالجماعةِ، وإياكم والفرقةَ، فإنَّ الشيطانَ مع الواحدِ، وهو من الاثنينِ أبعدُ، مَن أراد بحبوحةَ الجنةِ فلْيلزمِ الجماعةَ، مَن سرَّتْهُ حسنتُه، وساءتْه سيئتُه فذلكمُ المؤمنُ" رواه الترمذي(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٦٣) برقم (٢١٠١) كتاب البيوع باب في العطار وبيع المسك. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٦) برقم (٢٦٢٨) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٤٦٥) برقم (٢١٦٥) أبواب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ٢٨٦) برقم (٩١٨١) كتاب عشرة النساء، ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عمر فيه. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٦٥).



ومن شروط الصحبة: الإخلاص لله تعالى في هذه الصُّحبة، وأن يكون الدَّافع الحقيقيُّ لتلك الأخوَّة والمحبَّة هو الحبُّ في الله تعالى، ولا تكون تلك الصَّداقة من أجل تحقيق مكاسب دنيويَّةً، فلا يُتَّخذ الصَّاحبُ من أجل نسبٍ رفيعٍ، أو من أجل منصبٍ، أو لتحقيق نفعٍ دنيويٍّ، إنَّما يُتَّخَذ الصَّاحب لقُربه من الله تعالى.

ومن شروطها أيضًا: التَّحلِّي بالأخلاق الحميدة؛ لأنَّ النَّاس تُحبُّ معاشرة صاحب الخُلُق الحسن وتألفه، وتُحبُّ مُجالسته، في حين لا يُطيقون مَن كانت أخلاقه ذميمةً، وينفرون من مجالسه، ومن الأخلاق الفاضلة التي يجب أن تكون في الصَّديق: أن يتحلَّى بالصِّدق، والأمانة، والكرم، والوفاء، والتَّواضع، وغيره، وأن يبتعد عن الغشِّ والكذب والخداع، وأن لا يشهد زورًا.

وأيضًا من شروط الصحبة الصالحة: الإحسان لله تعالى والإحسان لعباده؛ وذلك بمساعدة المريض منهم والفقير والمحتاج، وإظهار الرَّحمة والشَّفقة بهم، وهي من أهمِّ صفات المتَّقين الأخيار. وسلامة الصَّدر، وخلوُّ القلب من الضَّغينة والحقد والحسد، فلا يُعقَل أن تكون صحبةٌ صالحةٌ إلَّا إذا كانت سرائرُهم سليمةً وصدورُهم صافيةً، وأيُّ أخوَّةٍ خلت من هذا الصِّفاء فإنَّها لا تستمرُّ ولا تبقى، تصديقًا لقول الله تعالى:﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(١).

ولذا فإنَّ للصحبة الطيبة الصالحة أثرًا طيبًا في حياة العبد وآخرته، ومن بين تلك الآثار ما يأتي: الصحبة الطيبة تعمل على الهداية إلى الحق والدلالة على الخير. وانظر إلى قصة إسلام أبي ذر- رضي الله عنه-؛ فقد أسلم بسبب صحبته الراقية لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه- فالصحبة الطيبة سبيل الهداية إلى الرشاد، وانظر إلى ما كان يفعله الصحابيُّ الجليل الصادق في صحبته لإخوانه، حين كان يصرخ فيهم: هيَّا بنا نؤمن ساعة.

والصحبة الصالحة تعمل على إصلاح حال الصاحب حين يُخطِئ، وصدق عمر- رضي الله عنه- حين قال: رحم الله امرءًا أهدَى إليَّ عيوبي(٢).

---

(١) الحجر: ٤٧.

(٢) نثر الدر في المحاضرات (٢/ ٢٤). نثر الدر في المحاضرات، المؤلف: منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى (المتوفى: ٤٢١هـ)، المحقق: خالد عبد الغني محفوط، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.



والصحبة الطيبة تدعوك دائمًا للترقّي التعبديّ والأخلاقيّ، وتصرفُك عن خطوات الفشل والتردّي السلوكي؛ فكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" المؤمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ" رواه البخاري[١].

والصحبة الطيبة تُعدُّ فرصة ذهبية للمحبَّة الأخروية، ولدخول الجنَّة يوم القيامة؛ فكُلُّ صحبَةٍ قامَتْ علَى أساسٍ غيْرِ سليمٍ كانَتْ سببًا لندَمِ صاحبِهَا فِي الدنيَا والآخرةِ إلَّا صحبة الصلاح، قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، وقد ثبت أنَّ الصاحب الصالح إذا دخل الجنة فلم يجد صاحبه الذي كان يُرافقه أحيانًا في الطاعات وربما قصَّر لكنه لم يدخل الجنة؛ لجأ هذا الصاحب إلى ربّه يطلب مرافقة صديقه له في الجنَّة، فيتعطَّف ربُّنا عليهما بدخول جنَّته. ويكفي دليلًا على ذلك أيضًا: أنَّ السبعة الذين يمنُّ الله عليهم بظلِّ عرشه، منهم: ورجلان تحابَّا في الله؛ اجتمعا عليه، وتفرَّقا عليه. متفق عليه[٣].

وعلى هذا فإنّ الصحبة الصالحة قُوّة للفرد والمجتمع. قال أبو تمام:

مَـــنْ لي بإنســـانٍ إذَا أَغْضــبْتُهُ	وجَهلْتُ كَانَ الحِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ
وإذَا طَرَبْــتُ إلَى المـدَامِ شَــرِبْتُ	أخْلاقِـه وسـكِرْتُ مـن آدَابِـهِ
مِنْ وَتَراهُ يُصْغِي للحِـديثِ بِقَلْبِهِ	وبِسَـــــمْعِهِ ولَعَلَّهُ أَدْرى بِهِ[٤]

وفي الختام: نريد من الآباء صحبة أبنائهم وبناتهم واحتضانهم في البيوت؛ حتى لا يبحثوا عن تلك الأحضان، وصحبةٍ أخرى تضرُّ بحالهم خارج البيت.

وأنتم أيُّها الشباب تخيَّروا أصحابكم؛ فالصاحب- كما يُقال- ساحب. فانتقوا أصحابكم كما تنتقون الطعام والشراب والملبس. وكن أنت الصاحب الصالح لغيرك ممَّن ابتعد عن طريق الله، أو قصَّر في حقِّ مولاه.

كما يجب التأكيد على أنَّ الاختيار لا يقف عند صحبة المدارس أو الجامعات أو الأعمال؛ بل يدخل في ذلك ضرورة اختيار الأصحاب على وسائل التواصل الاجتماعي.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٠٣) برقم (٤٨١) كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٩) برقم (٢٥٨٥) كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٢) الزخرف: ٦٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٤) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٣/ ١٨٤، بترقيم الشاملة آليا) .




تم بحمد الله